

الْمُهَلِّاتِ

— (تصدر في الاستانة. ربيع الآخر سنة ١٣٣١) —

أَمْرُ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
أَلِيمٌ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ
مَنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

نهى القرآن الكريم المسلمين عن مخاطبة الرسول عليه السلام
بقولهم راعنا وارشدهم الى وجوب مخاطبته بكلمة انظرنا ثم امرهم ان
يضعوا ويستمعوا اليه . ذلك ان الكفار من اهل الكتاب والمشركين
كانوا يستخرون من الرسول عليه السلام ويلوون السنتهم في مخاطباته
فأمره بمخاطبته بقولهم (راعنا) وتارة بقولهم (اسمع غير مسمع) كما
كانوا تارات اخرى يعدلون عن لسان واستعمال المبهات السمجة
او التوريات الى الجهر بالعبارات البذيئة فيقولون سمعنا وعصينا استهزاء

كانوا يستخرون من الذين آمنوا في اتباعهم لرسوله فلهمذا اردفت حسرتها
بقولها وان كنت لمن الساخرين وبقولها لو ان الله هداني لكنت من المتقين
فرد الله عليها بقوله بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين .

تنبيه — قد سبق في أثناء السورة قوله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتعون احسنه اولئك الذين هداهم الله ثم بين انهم الذين اتقوا بقوله
لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرق مبنية تجري من تحتها الانهار
ثم بين بقوله وعد الله ان ذلك هو الذي وعدهم به في قوله زين للذين كفروا الحياة
الدنيا ويستخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم يكونون
في الدرك الاسفل والذين اتقوا في الغرف ولذلك حق لهم ان يتحسروا على ما
فرطوا في جنب الله وهو الاهتداء برسول الله حق يسعدوا به وبصحبته كما
سعد به المتقون من اتباعه واهتدوا باتباعه وفي ذلك اليوم تظهر لهم حقيقة
سخريتهم في قوله ومنهم من يستمع اليك حق اذا خرجوا من عندك قالوا
للذين اتوا العلم ماذا قال آنفا في قوله والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم
تقواهم . اذا تقرر لك بهذا ان الجنب جنبان جنب حسي وجنب معنوي
حقيقي فكذلك صاحب الجنب صاحبان صاحب السفر الجنبى وصاحب في السفر
القلبي وبذلك فافهم السر في قوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا الى قوله
والصاحب الجنب وابن السبيل فان تنزلت فاعتبر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول
فالولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وان
ترقيت فاعتبر قوله تعالى عن رسوله ماضل صاحبكم وماغوى ثم اعتبر قوله
صلى الله عليه وسلم في سفره اللهم انت صاحب الخليفة في الاهل .

تنبيه — قد روى ابو عبد الله الترمذى بسنده الى عبد الله بن سلام ان
النبي صلى الله عليه وسلم يجلسه الله معه على العرش وذلك يخرج على ما مهدته
لانا بينا ان الصورة التي تجلج الله فيها هي ظلة غمامه وهي انوار آياته وفي تلك
الصورة تجلج الله على العرش ونبينا صلى الله وسلم تجلج لآئمه في ظلة سنته
وكتاب الله وسنة رسوله لا يفترقان فمن اجل ذلك سجدت الجالسة له مع ربه على
عرشه ووضح بهذا حسرة النفوس التي شقيت بمخالفته على تفريطها في جنب الله
لأنها تشهد هنالك حقيقة معية ربه له ومجالسته .

ومن التشابه صفة القدم فانه ثبت في الصحيح من حديث انس بن مالك

بالرسول عليه السلام واستخفا فابشأنه واستكبر ارا عن الانصات الى هدايته وتقهم رسالته

فأما نهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول بتلك العبارات المذكورة آنفا فذلك ان كلمة راعنا كانت في اهل الحجازة قولا سخرى لا يستعمل في مواطن الادب ولكن جهال العرب الذين دخلوا في الاسلام ما كانوا يدركون مبلغ قبحها .

على ان اهل الكتاب من اليهود والمشركين كانوا يفترون استعمال جهال العرب لها في مخاطبتهم الرسول فيخطبونهم بها ولكنهم كانوا يورون بها عن المعاني الخفية التي قد تشير اليها كلمة راعنا باعتبارها مشتقة من اصول اخرى او محرقة عن كلمات تقرب منها .

فمن ذلك ان (راعنا) كما يجوز ان يكون معناها انظر اليها كذلك يجوز ان تكون من معنى الرعونة واجريت في الوصل في التلاوة مجرى الوقف في المناجاة والمخاطبة (١)

وكذلك يجوز ان يلوى بها المتكلم لسانه فتصير (راعنا) وهذه كلمة سب لدى اليهود او هي بمعنى انت راعى شأننا وانعامنا .

وبالجملة ان هذه الآية تنهى المؤمنين عن استعمال مالا يليق بمقام النبوة من الالفاظ وان لم يقصدوا منها ما يقصده كفار اهل الكتاب والمشركون من الاهانة والسب والزراية والطعن فاما هؤلاء فاعبا حسابهم على ربهم (من الذين هادوا يحرفون الكلام عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير سمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا

(١) فكأن معنى (راعنا) اى ارعن وهو من الصنع النسبة كقامر ولا بن

في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا)

كان عامة المسلمين وسذجهم يخذعون بما يرونه من غشيان كفار اهل الكتاب والمشركين مجالس النبي صلى الله عليه وسلم وازدلا فهم من صحابته فكانوا يخلصون اليهم ويحرصون على معاملتهم طبقا لاحكام القرآن الكريم الذى يأمر بالعدل والاحسان فما كانوا يكفون عن محاسنتهم ولا يستكفون عن عيادة مرضاهم .

ولطالما استدرجهم الغرة الكريمة التي هي من طباع المؤمن الساذج حتى انقلبوا لا يفكرون فيما يبطن لهم أولئك الاشرار من المكاييد ويدبرون لهم من سوء . ولكنهم احسنوا بهم الظن فلم يأخذوا دونهم شيئا من الحذر والحيلة ولولا عناية الله بهم ورسالاته التي لم تبق خفيا الا كشفت عنه ولا كيدا الاحذرت من دونه لما بقي لله سامعين من اثر ولا للاسلام وهو في دور تخلقه من وجود .

والمتنبع لآيات الكتاب الكريم يرى فيها من التنبيه والعظة مالمو اقتدى المسلمون بشئ منه ما تصببت عليهم الارزاء من كل صوب . كان شان اهل الكتاب في صدر الاسلام شأنهم اليوم مع المسلمين ولكن كانت تنزل على السلف الصالح آيات القرآن فيتدبرونها ويعونها ويعملون بها فيصونهم الله بذلك من مكر الماكرين وكيد الكائدين امامن جاء من بعدهم من الاجيال الاسلامية فقد استمسكوا ببعض الكتاب ونبذوا اكثره

عرفوا ان الاسلام يوصى بالمستأمن واهل الذمة خيرا ويفرض

لهم من الحقوق والمزايا ما لا يقل عما للمسلمين بحال . ولكنهم مع ذلك نبذوا من آيات الله ما يدعو الى الحذر . والتزام اليقظة كما نبذوا من كتاب الله مالا ريب فيه من الحقائق التي نراها رأى العين في كل زمان ومكان .

كان اهل الكتاب في صدر الاسلام يتواصون ان يؤمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار وان يكفروا بذلك آخر النهار لعل المؤمنين يرتابون في صحة شريعتهم وصدق نبينهم فيرجعوا عن دينهم فلما كشفت آيات القرآن ما كانوا يبيتون اخذ المؤمنون حذرهم فلم يقعوا في الفخاخ التي كانت تنصب لهم .

ايقن مسلمو صدر الاسلام بصدق قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) فكانوا على عدلهم في اهل الكتاب واحسانهم اليهم لا يغفلون طرفة عين عما تضره صدور أولئك من بغض الاسلام وكرههم للمسلمين وانه لولا ما كان للعالم الاسلامي اذ ذاك من الكلمة العليا والسلطان الشامل ما خضعوا لحكامهم ولا أبقوا على واحد منهم . فكان ذلك السلف الصالح يجمع الى الاحسان الى اهل الكتاب واقامة موازين العدل فيهم ذلك الحذر والحيلة التي سودتهم وجعلتهم ملوك الارض وحماة الضعفاء وملجأ المضطهدين قرونا عديدة . فمع دخول عشرات الملايين من اهل الكتاب والمجوس بآسيا وافريقيا واوروبا وجزائر البحار والمحيطات في دائرة حكمهم ماسجل التاريخ يوما انتقض عليهم فيه رعاياهم أولئك خلال عدة قرون بل كانوا يعيشون

مكيدة .

وما زال ذلك شأن المسلمين في رعاياهم من اهل ان الكتاب حتى تمكنت الشهوات من نفوسهم وجهلوا الكتاب كتاب الله تعالى فعصيت قلوبهم عن ان تفقه واعينهم عن ان تبصر وهذاك تمكنت الغفلة منهم حتى انقلبوا خطبا لنيران الفتن الصليبية في الاندلس قديما وفي الروم الى الشرق والباينا حديثا .

يتلو المسلمون في كل مكان وكل آية التي نحن بصدد تفسيرها اليوم وهي تنادينا (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم) فمن منهم تدبرها ذات يوم فاتق كيد أولئك الاشرار بشيء من الحيلة والحذر ! كلا فلقد تمر هذه الآية وكثير من اشباهها باسماعهم وهم لا هون معرضون (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون)

ان ديننا الشريف وشريعتنا الفطرية السمحة لا تبيح لنا ان نعدو على احد ولا ان نظلم من خلأق الله تعالى حتى الحيوان الاعجم ولكنه مع ذلك حذرنا ان نهين او نخفل حتى لا نقلب فريسة لكل مفترس وحربا لكل معتد جبار .

فاما القرآن الكريم فانه يقص علينا من العبر والعظات ما قد ضيعناه فضيعنا واستخففنا به فذللنا وصغرنا .

واما السنة المصطفوية فان فيها من سيرة فخر الكائنات وسياسته مالو وعته الحكومات الاسلامية ما تداعى بنيانها ولا تنقضت اركانها .

ولولم ينقل اليها غير ما روى عن ابن عمر رضى الله عنها عن رسول
الله انه قال (١) بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا
شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلات الذلة والصغار على خالف من
امرى) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى البخارى (ايها الناس لا
تتنوا لقاء العدو وسالوا الله العافية فاذا القيتوهم فاصبروا واعلموا ان
الجنة تحت ظلال السيوف) لولم ينقل اليها من سنة رسول الله في السياسة
سوى هذا لكفانا هداية ورشدا

كان المسلمون الاولون يقولون لخلقهم من اليهود آمنوا بمحمد فكان
هؤلاء يقولون ما هذا الذي يدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان
خير فاتبعناه فجاء في سبيل تكذيبهم وكشف مستور ضمائرهم قوله تعالى (ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم خير من ربكم)
ناظرا باصرح عبارة وافصح بيان ان هؤلاء لا يودون ان يصيب المسلمين
من الخير شيئا ما كثير اكان او قليلا ولكن اغرار المسلمين الذين لا يدركون مقاصد
كتاب الله ولا يعون آياته المحكمة قد طبع الجهل على قلوبهم فضلوا فلا يمتدون
سيلا . ضلوا فلم يميزوا بين الصديق والعدو ولم يستطيعوا ان يفرقوا
بين القلوب المتئة رحمة والصدور المتدفقة حقا وحقا . هل افادتهم
الحوادث الفاجعة والارزاء الموجهة وهل ايقظتهم النكبات ونهبتهم نذر
السوء المتعاقبة فيهم دون انقطاع ؟ كلا فانهم اموات غير احياء وما
يشعرون ايان يبعثون .

ما نسخ من آية او نسخها نأت بخير منها او مثلها ألم تعلم ان الله على كل شيء
قدير ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالككم من دون الله من ولي ولا
نصير . ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سأل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر
بالايمان فقد ضل سواء السبيل . ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد
ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا
حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة واتوا الزكاة وما تقدموا
لانفسكم من خير يجوده عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا ان يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى تلك امانيتهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بل
من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما أخذ يدعو الى الاسلام
المشركين واهل الكتاب امعنوا في ايدائه والاستخفاف به واعنائه
كانوا يسألونه ان يثبت دعواه بشيء من المعجزات وخوارق العادات
فكان صلى الله عليه وسلم يرجعهم الى الجواب عما هو من حدود وظيفة
الرسول . ولطالما تنصل الرسول من اجابة مطالبهم مرشدا لهم الى ما
قصد من شريعته وما هو الا اصلاح شؤون الانسان وتمكينه من سعادة
الدارين .

ولم يكن لجلاج العرب في طلب الآيات الخارقة للعادات من
النبي صلى الله عليه وسلم ناشئان ترو وصدق رأى وسلامة قلب وانما
كانوا يتشبثون بها اما عبثا او عنادا او عملا بما ورثوه عن آبلهم الاولين
مما لا يطابق مقتضيات الفطرة السليمة ولا يجمع سنة الله التي ليس

لها تبديل . ولو كانوا في الاخلاص كما يزعمون ما كانت تزيدهم الآيات السماوية عناداً وتكذيباً . فكم ارسل الله من معجزة وكما ايد انبياءه ببالغ آياته فهل اغتتهم هذه الآيات في سبيل التبليغ والتبشير شيئاً . كلا فقد نزل في بيان حالهم قوله تعالى (ونخوفهم فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً)
 كم اظهر الله على ايدي انبيائه من آية وكما انسى طول العهد باحدى المعجزات قوماً فارسل الله لهم خيراً منها او مثلها . ولا بدع فאלله تعالى على كل شئ قدير وكيف لا وله ملك السموات والارض وما لهم من دونه من ولى ولا نصير .

فاذا نسخ الله احدى الآيات ومحاهها كاية الليل مثلاً فانه يعقبها بمثلها او بما هو خير منها وهو آية النهار (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب)

واذا انسى بعد العهد قوماً احدى آيات الله المعجزة فان الله قادر على ان ينزل آية مثلاً او اعظم منها (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون)

كان الرسول عليه السلام كثير اماً يحزنه استهزاء الكافرين به وانكارهم رسالته كلما طالبوه بمعجزة فلا ترسل اليهم . (ولقد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) وكذلك كان عليه السلام لشديد حرصه على اسلامهم وسلامتهم يكبر عليه اعراضهم عن قبول دعوته (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفاً) لهذا حسن ان تصاغ في مخاطبة الرسول عليه السلام الآية التى نحن بصدد تفسيرها على النحو الذى

رأيت والا فهو عليه السلام لا يجهل ان الله على كل شئ قدير . وان له ملك السموات والارض وما كان ليخاطب بهذا لولا ما كان يساور نفسه من الهموم والقلق كما الحفوا في طلب تلك الآيات على النحو الذى اوضحنا حتى لقد كادوا يزولون قدمه عليه السلام لولا عصمة الله له وحفظه اياه (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً . اذاً لا ذقتك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً) ويتمثل لك سر هذا جليلاً في قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبغى نفقا في الارض او سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)

والواقع ان عدم اجابة الله نبينا الاكرم الى ما كان يطلبه منه الكفار من المشركين واهل الكتاب من الآيات والمعجزات لم يكن الا لانه تعالى علم من امرهم انهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم (ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحرمبين) وقد جاء نصاً في هذا المعنى قوله جل شأنه (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفاً)

بعد ان بين الله تعالى ان فى وسعه ارسال الآيات وانه لا يعجزه شئ فى الارض ولا فى السموات وانه اذا محاً شيئاً من آياته او اطل عهده خلأه بها فانه يقدر على ان يأتي بمثلها او خير منها شرع يقرع العرب الذين كانوا يلاجونه عليه السلام ويلجون عليه فى طلب الآيات فقال (ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل)

جاء موسى قومه بالتوحيد والواح كتب الله فيها ما شاء من العظات والاحكام فلم يثبتوا على توحيدهم بل جعلوا يطلبون من موسى تارة ما هو عندهم محض وتارات ما هو شرك مبين (قالوا يا موسى اجعل لنا الهام كما لهم آلهه) و (قالوا ارنا الله جهرة)

على اننا لانرى من بأس ان يكون الخطاب في قوله تعالى أم تريدون ان تسألوا رسولكم (الآية) لعامة المسلمين الذين دخلوا في الاسلام ولتقرب عهدهم بالوثنية والكفر لم يرسخ التوحيد في قلوبهم بل كانت تعاودهم نوبات الشرك والاعتقاد في الاوثان والتماثيل ونحوها فكان صلى الله عليه وسلم يعالج امراضهم هذه بالتذكير والعظات والهداية الى الطريق السوي وكانت تنزل في ذلك الآيات .

ومن هذا الباب ما رواه الامام ابن جرير في تفسير قوله تعالى (وجاوزنا بني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم) عن أبي واقد الليثي ان المسلمين خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها اسلحتهم يقال لها « ذات انواط » قال فررنا بسدرة خضراء عظيمة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى (اجعل لنا الهام كما لهم آلهه قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سنان بن سنان عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله قبل حنين فررنا بسدرة فقلت يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات انواط كما

للكفار ذات انواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويعكفون حولها فقال الرسول (الله اكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الهام كما لهم آلهه . انكم تركبون سنن من قبلكم .) مما قدمنا هنا يتجلى ان جهال المسلمين في بدء اسلامهم كانوا يخشون في بعض الاوقات الى شيء مما كانوا يفعلون في جاهليتهم لا بغضا في الدين ونفورا من التوحيد وانما هي نتائج الالف والعادة الطويلة . ويدلنا على ان الامثل حمل الآية الكريمة على ما كان يحول في صدور المؤلفلة قلوبهم من امثال تلك الوسوس التي سردناها في حديث السدرة ذات الانواط ما ختمت به الآية هذه من قوله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالايان فقد ضل سواء السبيل) اذ تبدل الكفر بالايان لا يكون الا حيث يكون الاسلام قائما سابقا . فختم الآية بهذه الفاصلة يرشد الى انه ليس الكفار من اهل الكتاب والمشركين هم المعنيون بالخطاب وانما هو خطاب لقريبي العهد بالتوحيد من المسلمين

وخلاصة القول ان سياق الآيات التي نحن بصدددها وكذا ما جاء في تضاعيفها من المعاني والاشارات يدل على ان كلمة الآية التي جاءت في قوله تعالى « ما ننسخ من آية او ننسها » انما هي الآيات الدالة على وجود الله ووحدانيته او على تأييد رسوله . وبحسبك ان تتدبر ما جاء عقب ذلك من قوله (ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير) وقوله (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالككم من دون الله من ولى ولا نصير) فان الرجوع بالمخاطب الى ان الله قدير على كل شيء وانه مالك السموات والارض وان ليس لاحد دونه من ولى ولا نصير كل

هذا يشير الى انه تعالى لا يعجزه ان يأتي بمعجزة او آية نسخها ومحاها او طال عهد الناس بها فنسوها .

ومن هذا القبيل قوله تعالى (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون) فان عبارة « قادر » تنبئ بما كان يقترحه الكفار من المعجزات الشاقة كما في آية (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفيجرا وتسقط السدء كما زعمت علينا كسفا او تأتي باله والملائكة قبلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه)

فمعاذو المشركين كانوا لا يكفون عن ملاجة الرسول عليه السلام ومطالبتة بخوارق العادات ونحوها ثم كانوا يسخرون منه اذ لم يجبههم فتارة يقولون ان الله قد تخلى عنه وتارة يد الله مغلولة وطورا ان اله محمد عاجز وطورا ان الله فقير ونحن اغنياء . فآية (ما ننسخ) التي نحن بصدددها نزلت في الرد على من بلغ بهم التعنت والكفر حدا عيروا فيه الرسول اذ لم يجبههم الى ما كانوا يطلبون من المعجزات بان الهه عاجز لا يقدر على ان يؤيد رسوله بما طلبوه من الآيات .

لذلك تخاطب الآية الكريمة الرسول الايعبا بسخافتهم وهذيانهم وفرط كفرهم فلو انهم حكموا عقولهم واتبعوا الانصاف بوجه ما علموا ان الله على كل شيء قدير وان الله له ملك السموات والارض فلم يكن كفه عن ارسال الآيات آونة الى رسوله الاحكمة ولو شاء الله لانزل آية بعد ان

يحو أخرى او بعد ان يطول العهد بها فتتمحي من الازهان . هذا قولنا في الآية الكريمة وللمفسرين هنا كلام طويل لا نريد ان نناقشهم عاقلهم الله فيما زلت فيه اقلامهم منه . ولكن لا بد لنا من الاستطراد بذكر كلمة في امر النسخ شرعا وهو نسخ الاحكام الشرعية الواردة في آيات القرآن الكريم . ذلك ان طائفة من المفسرين ذهبت الى ان المراد بآية في قوله تعالى (ما ننسخ من آية او ننسا) هي آيات القرآن الكريم . ولم يراعوا اصلحهم الله ذوق القرآن ولا اسلوبه العربي ولا أنعموا النظر في سياقه بل اصرروا على ما فهموا وخاضوا فيما زعموا ففتقنوا بذلك لاهل البغي والعدوان من الصليبين وغيرهم ابوابا واسعة للنقد والطعن والتعيير والفحش . ولكم خاضت القساقسة في امر النسخ هذا وباغتوا عامة المسلمين بما امكنهم ان يستنبطوا من اقوال المفسرين وعلماء الاصول مما تذرعو به (حقا او باطلا) الى الخط من كرامة القرآن الكريم والصاق الهنات والمناكير بالشريعة الغراء .

لهذا جئني مضطرا الى معالجة هذا الباب لا لانني ارى حمل الآية الكريمة عليه وان النسخ فيها هو نسخ آيات القرآن وانما ذلك لان جل السلف تعاقبوا على ولوجه وتواطئوا على المعنى الذي خاضوا فيه فاقول وبالله تعالى الهداية والتوفيق .

اعلم ان نسخ الله لاحكامه او لآية من آيات كتبه السماوية انكره اليهود والمسيحيون وقال به عامة المسلمين وخاصةهم الا بابا مسلم بن بحر المفسر فانه مع قوله بجواز وقوعه عقلا ينكر حصول شيء منه القرآن

وقبل ان نبدي رأينا فيما قام من الخلاف في ذلك بين ابي مسلم وغيره
يجمل بنا ان نجادل اهل الكتاب فيما زعموه من عدم وقوع النسخ
ونصدهم عن حملاتهم المنكرة الفاحشة التي يحملونها علينا .

لاجرم ان الله تعالى ارسل رسله بالكتب القدسية لهداية العالم .
وسلامتهم من الزلل في الدنيا والآخرة .

ومعلوم ان الطبائع البشرية مختلفة وان الشئون الاجتماعية في الامم
المختلفة متغايرة . واذا كانت الاحكام التعاملية لا يراد منها سوى اصلاح
الشئون الحيوية واقامة الحدود بين الجماعات والافراد حتى لا يبغي احد
منهم على آخر كان لابد في تقرير الاحكام وتقديرها من مراعاة طباع
الامم الذين يراد تكليفهم بها .

ولا ريب ان الله تعالى هو العليم بعباده الحكيم في اعماله ومن
اولى من الله بالحكمة والسداد وهو اللطيف الخبير .

لقد ارسل الله الى الامم من الرسل والانبياء ما لم يقص علينا الا قليلا
من اميرهم . فهل يرى السخفاء من اليهود ان تكون احكام الله الى تلك
الامم واحدة ومنها الراقي والمنحط والبربري الغشوم والجبار والرحيم
والمدني والبدوي والدارس والامي . ام يريدون الاتغير احكام الله في
أمة يصعد بها رسولها في معارج الرقي والفلاح رويدا ورويدا ويتعدها
بالتهديب والتثقيف قليلا قليلا

اللهم ان العقل ايجوز وقوع ذلك النسخ . والمشاهدات اقطع دليل
على تحقق ذلك . ان الاحكام الالهية والاحكام الوضعية سواء في قبولها
النسخ وان يستبدل بواحد منها غيره طبقا لمقتضيات الاحوال والشئون

الحيوية والاجتماعية .

لهذا نرى المجالس التشريعية في سائر الممالك لا ينفكون يغيرون
ويبدلون ويعيدون كما دعت حاجة امهم الى شئ من ذلك .

ولا يعقل ان الله وهو العليم الحكيم يفرض على امة من الامم عين
ما يفرض على امة اخرى لا تشاكلها في اطوارها وشئونها الحيوية
والاجتماعية او ان ينزل يومانا على امة حكما مناسبا لحالتها في ذلك اليوم
ثم يبقى ذلك الحكم عينه عزيزة ثابتة لا تنسخ ولا تعدل تلزم به الامم
ولو اختلفت المقتضيات وتباينت الاطوار والشئون فلصاحب الشرع
ان يفرض حكما لمصلحة حتى اذا توفرت الدواعي الى تغييره نسخه بحكم
آخر أليق بالمصلحة وضمن للعدل والاستقامة . وهذا مالا ينكره الا
مكابر عنيد او جاهل لا يعي

وقد كتب العلماء في هذا الموضوع واروا بكل وضوح كيف وقع
النسخ بالفعل في التوراة والانجيل . وضربوا الامثلة البديدة التي
لا يقوى احد من اهل الكتاب على نقض شئ منها

ولا يسع هذا المقام استيعاب جميع ما أتوا عليه في هذا الباب من
الشواهد والامثلة المضممة فلنجتزئ هنا بذكر طرف منها (١) فنقول
قد كانت سارة زوجة ابراهيم الخليل عليه السلام اخته من ابيه كما
يفهم من الآية الثانية عشرة من الباب العشرين من سفر التكوين
(٢) اذ يقول فيها (انها اختي بالحقيقة ابنة ابي وليست ابنة امي وقد تزوجت

(١) من شاء استيعاب هذا المبحث فعليه بكتاب اظهار الحق للاستاذ د. رحمة
الله الهندي رحمه الله تعالى

(٢) راجع الترجمة العربية سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٨

بها) ومعلوم ان زواج الاخت في الشريعة الموسوية حرام وفي منزلة الزنا. والزوج ملعون وقتل الزوجين واجب كما تدل عليه الآية التاسعة من الباب الثامن عشر من سفر الاخبار وهي (لا تكشف عورة اختك من ايك كانت او من مك التي ولدت في البيت او خارجا من البيت) ويؤخذ لعن المتزوج باخته من الآية الثانية والعشرين من الباب السابع والعشرين من كتاب الاستثناء اذ تقول (ملعون من يضاعف اخته من ابيه وامه)

فلو لم يكن الاقتران بالاخت جائزا قبل آيات التوراة هذا لما اتخذ ابراهيم اخته سارة حلاله ولكان داخلا في جملة من لعنهم آيات التوراة ومن الامثلة المثبتة لوقوع النسخ في الكتب السابقة للقرآن ان الشريعة الموسوية تبيح للرجل ان يطلق زوجته بكل علة وان يتزوج بها رجل آخر بعد الخروج من بيت الاول كما في كتاب الاستثناء (٣) ولكن لا يجوز الطلاق في شريعة عيسى الابعة الزنا. وكذا لا يجوز لآخر زواج المطلقة بل هو بمنزلة الزنا (٤) وقد اعترض القريسيون على عيسى في هذه المسألة فاجابهم بقوله (ان موسى ما جوز لكم طلاق نساءكم الا لقساوة قلوبكم واما من قبل فانه لم يكن كذلك وانا اقول لكم ان كل من طلق زوجته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى فقد ذني ومن يتزوج بتلك المطلقة يذني)

قال الاستاذ رحمة الله المهندي بعد شرح ماسبق فعلم من جوابه انه

(٣) راجع الباب الرابع والعشرين منه

(٤) راجع الباب الخامس والتاسع عشر من انجيل متى

ثبت النسخ في هذا الحكم مرتين مرة في شريعة موسى ومرة في شريعته هو. ومن الامثلة ان الحيوانات كان كثير منها محرما في شريعة موسى ثم جاء عيسى فاحلها ناسخا احكام التوراة فيها (وعلى الذين هادوا حرما كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرما عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم)

ومنها تعطيل الاعمال في السبت وقتل من يعمل فيه فقد جاء في سفر العدد قوله (١)

(ولما كان بنو اسرائيل في البرية وجدوا رجلا يلقط حطبا يوم السبت فاقبلوا به الى موسى وهرون والجماعة كلها فالتقوه في السجن لانهم لم يكونوا يعرفون ما يجب ان يفعلوا به فقال الرب لموسى فليقتل هذا الانسان ويرجمه كل الشعب بالحجارة خارجا من المحلة فاخرجوه ورجموه بالحجارة ومات كما امر الرب) وكان اليهود المعاصرون للمسيح عليه السلام يؤذونه ويريدون قتله لاجل عدم تعظيم السبت كما جاء في آية (٢) (ومن اجل ذلك طرد اليهود عيسى وطلبوا قتله لانه قد فعل تلك الاشياء يوم السبت وقد بين العهد القديم علة تقديس يوم عيد الفطير بقوله (باني اخرج جيوشكم من ارض مصر فاحفظوا هذا اليوم الى اجيالكم سنة الى الدهر) (٣) ثم جاءت شريعة عيسى فنسخت

(١) راجع الباب الخامس عشر منه

(٢) راجع الآية السادسة من الباب الخامس من انجيل يوحنا

(٣) راجع الباب الثالث والعشرين من سفر الاخبار

جميع ذلك . قال بشوب هارسل في ذيل شرح آية الاعياد (زال سبت
كنيسة اليهود ومامشى المسيحيون في عمل سبتهم على رسوم طفولية
القريسين)

ومما لا ينبغي اغفال الاستدلال به حكم الختان فقد اوجبه شريعة
موسى تأييداً بل قال الاستاذ رحمة الله ان حكم الختان كان ابدى في
شريعة ابراهيم عليه السلام (١) ولذلك بقى هذا الحكم في اولاد اسماعيل
واسحاق وبقى في شريعة موسى

وقد ختن عيسى عليه السلام (٢) وللمسيحيين الى هذا اليوم صلاة
معينة يؤدونها في يوم ختان المسيح تذكرة لهذا اليوم . وكان هذا الحكم
باقيا حتى آخر عهد المسيح وانما نسخ الحواريون في عهدهم (٣) وتشدد
مقدسهم بولس في نسخ هذا الحكم و اغرق حتى زعم ان من اختن
لا ينفعه المسيح (٤) على ان المسيحيين لم يكتفوا بان تنسخ شريعة موسى
بشريعة مثلها الهية كشرعية عيسى بل ان الحواريين انفسهم كانوا هم الذين
ينسخون ما يشاءون . ومن هذا انهم بعد المشاورة نسخوا جميع الاحكام
العملية في التوراة الا اربعة ذبيحة الصنم والدم والمخوق والزنا فابقوا
حرماتها (٥) ثم جاء قديسهم بولس بعد ذلك فاحلها جميعا الا الزنا

(١) راجع الباب السابع عشر من سفر التكوين

(٢) راجع الآية ٢١ من الباب الثاني من انجيل لوقا

(٣) الباب الخامس عشر من اعمال الحواريين .

(٤) راجع الباب الخامس من رسالته الى اهل غلاطيه .

(٥) راجع الباب الخامس عشر من اعمال الحواريين .

فمما اسلفنا يتجلى ان النسخ ونفى بذلك دائماً نسخ الاحكام الشرعية
باحكام شرعية سماوية كان موجودا معروفان في اليهود والنصارى من
اهل الكتاب بل منهم من قام فجعل ينسخ احكام الله تعالى بفتواه
كانهم يرون تخطئة الله تعالى فيما انزل على موسى من احكامه ولم يترثوا
حتى ينزل الله شريعة تنسخ احكامها ما يشاء هو من الاحكام السابقة لها .
فخير لاهل الكتاب بدل ان يهاجموا المسلمين وان يعيروهم بما
الى بلغته افهامهم السقيمة من مثالب الاسلام ونقائص القرآن ان يرجعوا
نفسهم فيذكروا ما فعلت ايديهم بكتبهم من التحريف والتبديل (١)
وما نسخ قد يسوهم من احكام العهد القديم وهم يعتقدون انها من
عند الله فانهم سيسترون اذ ذاك اوجههم خجلاً وخزياً مما فعلت ايديهم
من العبث بدنيهم و باحكام انبيائهم الذين يقدسونهم ويعبدونهم من
دون الله .

وانا على ثقة انه ما جراً اهل الكتاب على مجادلة المسلمين في امثال
مسألة النسخ الاعتقادهم ان المسلمين غارقون في جهالتهم مهملون البحث
في تلك الكتب فهم لا يعرفون شيئاً من مخازى اهل الكتاب ولا
يلمسون كيف عبثت ايديهم بما يسمونه كتبهم المقدسة . ولو ان اهل
الكتاب علموا انهم انما يخاطبون من المسلمين من هو ملم بسوءاتهم
عليم بتحريفهم وتبديلهم وقبيح تاريخهم ما اجتراً واحد منهم ان يفتح
فه فيرسل كلمة واحدة لدعوة او مجادلة . فليدرس المسلمون من الكتب

(١) راجع الجزء الثاني من السنة الرابعة لجلة الهداية .

ما استوعب تلك المخازي والفظائع فان ذلك لهم جنة ووقايه (١) فلنتقل الآن الى الكلام في امر النسخ بين علماء الاسلام وان كنا كما اسلفنا لا نرى حمل الآية التي نحن بصدددها على موضوعه. فبقيا ذكرنا آتفا بلاغ مبين. اسلفنا ان الشارع قد يضع حكما ما ثم للحكمة والمصلحة يجوز ان ينزل حكما آخر ينسخه. وهذا امر لا ينافي مقتضى العقل ولا يدل على ان الله تعالى يجهل المصلحة الحقيقية فيرم ثم ينقض ويقدر حكما ثم يتبين له المصلحة في غيره فينسخه. كلا. فان النسخ عندنا ان يقدر الله حكما ليكلف به أمة او طائفة لاسباب ودواع حتى اذا تخلفت تلك الدواعي والاسباب وقامت دواع اخرى مقامها ينسخ الله ذلك الحكم ويفرض في مكانه غيره فتقدير الحكم الاول كان للمصلحة والعدول عنه بفرض الحكم الناسخ له انما هو للمصلحة فليس في ذلك ما يزعجه اليهود وغيرهم من البداء والجهل ولهذا اجمع المسلمون على جواز وقوعه عقلا اللهم الا ما يروى الفخر الرازي من ان بعض المسلمين ينكروه (٢) بيد ان الجمهور من علماء الاسلام يقولون بجوازه عقلا ووقوعه بالفعل في الشرائع السماوية جميعها حتى القرآن الكريم. ولم ينفرد منهم بانكار وقوع النسخ في القرآن سوى ابي مسلم بين بحر فانه قال كما اسلفنا ان النسخ مع جواز حصوله عقلا لم يتطرق الى شيء من احكام القرآن الكريم.

(١) ان اجمع ما كتب في هذه الموضوعات واجدها بالدراسة كتاب اظهار

الحق للسيد رحمة الله الهندي وهو يوجد في كل مكان تقريبا.

(٢) صفحة ٤٥٩ من الجزء الاول من تفسير الرازي.

ولو ان القرآن الكريم صرح بانه وقع في آياته النسخ ما وسع احدا القول بغيره وانما هي مسألة اجتهادية اختلفت فيها آراء العلماء طبقا لاجتهادهم. هذا بالنسبة للاحكام التي جاء بها القرآن الكريم. اما نسخ القرآن لبعض احكام التوراة فانه منطوق به في بعض آي القرآن الكريم. فانظر بعد ان اعلننا الله بعض ما حرم على اليهود بقوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورها او الهوايا او ما اختلط بعظم) كيف قص علينا ان الاسلام قد جب هذا الحكم وسرد علينا ما اتى تحريمه بآية (قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به)

ان نسخ القرآن لغيره من الشرائع السابقة امر مفروغ منه وانما البحث في هل في القرآن آيات نسخت آيات منه اخرى .

احتج المتمسكون بوقوع النسخ في القرآن بجملة آيات ظنوا انها صريحة فيما ارتأوه فلا بد لنا من تقرير رأينا فيها واحدة واحدة .

(الاول) قوله تعالى « ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها » وقد تبين مما اسلفنا ان ليس المراد بآية هنا احدى آيات القرآن وافضنا في بيان ذلك آتفا بما لم يبق معه ريب لمرتاب .

(الثاني) قوله تعالى « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الف من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم

وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين»

قال المستدلون بالنسخ ان الآية الثانية المخففة ناسخة لسابقتها وزعم غيرهم انه لانسخ وان الايتين نزلتا معا في وقت واحد مستدلين على ذلك بانهما مقترنتان في الوضع وان القرآن لم يأت بما يدل على نسخ الثانية للاولى فلنترك ماشجر بين هؤلاء من التنازع والجدل ولنعكف على تدبر هاتين الآيتين والبحث في احكامهما.

ان اقتران الآيتين في التلاوة لا يدل على اقترانهما في التنزيل فكم من آية قرئت باخرى في الوضع وبينهما في التنزيل فترات طويلة.

ومما يدل على وقوع التراخي بين هاتين الايتين في الوحي ما صدرت به الآية الثانية من كلمة (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) فان صياغة الآية وتنسيقها واسلوبها البلاغي ينافر بلاشك قول من يزعمون ان الايتين نزلتا معا وان الاولى لم تكن سوى وعد من الله ورجاء ان يقوى المسلمون على ان يقاتل الواحد منهم عشرة فان ذلك مالا يقول به العليمون بذوق اللغة العربية العارفون بكنهه علم الله وحكمته وصدق وعده. وتأويل هاتين الآيتين على ما رى ان الله فرض اول الامر على المسلمين ان يقاتل الرجل منهم عشرة وقد ضمن له الغلبة عليهم. ولقد صدقهم الله اذ ذلك وعده. ذلك ان المسلمين كانوا اذ ذاك قليلا العدد جدا وقد جرت سنة الله في خلقه ان الانسان اشجع مايكون وهو ممتلئ ثقة بقوته او ممتلئ يأسا من نصرته ففي هاتين

الحالتين يكون الانسان بالغاية الجراءة والاقدام. والعارفون باحوال النفس واطوارها لا يشكون في صحة هذه القضية وثبوتها.

اما اقدام الانسان عند استيثاقه من قوته وجزمه بحسن العاقبة فهذا مالا يحتاج الى دليل وانما علينا ان نبين كيف ان اليأس قد يفضى بالانسان الى حد لا يرى معه غير التقدم والاستماتة. قد يحدق قطاع الطريق بتاجر في البادية ليسلبوه ماله فما ذاعسى ان يفعل التاجر ذلك في امثال هذه الحالة؟ تدل المشاهدات على ان ذلك التاجر وهو فرد اذا ما يقن ان حياته على خطر وان اللصوص لا يكتفون بتجريد ماله من الاسباب والاموال يغلب دمه في عروقه ويذهل عقله عن انه فرد واحد وانه لا يصيب اولئك وهم كثير بشئ من الاذى فان كان معه شئ من اداة القتال جرده لمناضلتهم. وقد يمد يده الى هراوة او نحوها فيحاول ان يدرأ بها الاذى عن نفسه. ولو تدبر قليلا لعلم ان ذلك لا يجديه شيئا.

ومما يصلح مثلا لذلك المرأة ترى ولدها وقد اختطفه الذئب او النمر فتغلي الدماء في عروقها وتتكاثر على دماغها وتضطرب اعصابها حتى لتلقين بنفسها بين يدي ذلك الحيوان المقترس غير شاعرة بما فعلت. ولو انها عقلت لا يقنت ان في تلك المخاطرة هلاكها والتحاقها فريسة بانبها. هذان مثالان يريان المرتاب صدق ما قدمنا من ان حالتي اليأس المطلق والرجاء المطلق سواء في انهما يكسبان اصحابهما من الاقدام والشجاعة اقصى غايتيهما (١) فكما ان اليأس البالغ يسلب الانسان قوة

(١) لهذا امثال كثيرة تضرب باللغة العامية فن ذلك قولهم في انفسهم الاول الغافية بهله (اي بلهاء) وفي القسم الثاني ان الذي على الخازوق يسب السلطان. ومن ذلك قولهم قاتل قتال المستميت.

التفكر ويدفعه الى ما قد يكون خطرا عليه وتهلكة له كذلك الرجاء البالغ والثقة التامة بمحول بين عقله وبين التفكير والتدبر وحسبان العاقبة فان من شأن من يرى في نفسه القوة البالغة الاستخفاف بغيره والاستعانة بعدوه .

ولا يخفى ان من مواطن اليأس اتمام الذي هو من مباحث الشجاعة ومناشئ الاقدام شعور انسان او جماعة بالضعف واعتقاد ان لا مفر من التهلكة والفناء .

واذ كان المسلمون في بدء أمرهم قلالا ضعافا واعدائهم اعززة شدادا كان لا بد للمسلمين ان يدفعوا عن دينهم اذى قريش ومؤامراتهم المتسلسلة المتصلة فتكليف الله اياهم اذ ذاك ان يقاتل الواحد منهم عشرة والمائة الفا والالف عشرة آلاف لم يكن بالعبث ولا بما لا يطاق من التكاليف وانما كان لحكمة يعرفها المليمون باحوال الانفس البشرية واطوارها .

ان الله كلمهم بذلك وهو يعلم انهم لضعفهم سيقاتلون قتال اليأس المستमित وقد اراد عز شأنه ان يلبثوا اقصى غايات الاقدام والشجاعة فوعدهم مع ذلك ان ينصر والغلب . ومن هذا ما قص الله علينا من امر المسلمين وكانوا اذلة ضعفاء في بدر اذ يقول (واذ نصركم الله ببدر واتم اذلة) فضعف المسلمين اذ ذاك ووعد الله اياهم ان تكون لهم احدى الطائفتين (٢) هما سر ثبوت قدمهم في الحرب وصبرهم البالغ على بلائها

حتى كتب الله لهم النصر وظفرهم باعدائهم المشركين . كذلك كان شأن المسلمين في بدء الاسلام ايام كانوا اذلة ضعفاء . فلما كثر عددهم تغيرت اطوارهم وتبدلت اخلاقهم واكتسبت نفوسهم صفات غير التي كانت لهم من قبل .

ذلك ان الجماعة متى كثر عددها كثرت فيها الخيلاء والمجب وفشافيها التواكل فتن بذلك المزائم ويغلب الاستخفاف بالعدو والاستهانة بامرته فيقل بذلك الاقدام والشجاعة فلا تقوى جماعة على مقابلة امثالها من الاعداء . ولهذا امثال كثيرة جدا يبصرها المتدبر في كل صفحة من صفحات التاريخ . ومصداق ذلك من القرآن الكريم آية (ويوم حين اذ اعجبكم كثر تكلم فلم تفن عنكم شيئا وضاعت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) فان في ذلك ما يوضح لك كيف تكون الكثرة مجلبة للخيلاء والمجب مبعثا للتواكل ووهن العزيمة حتى لينفضين ذلك بالجيوش الكثيرة الفيالق الفقيرة السواد الى الفشل والخيبة والهزائم .

واقرب الامثلة الناطقة بذلك ما اصاب الجيوش العثمانية من الهزائم والخسائر في الحروب البلقانية الحاضرة فان وفرة عددها وكثرة اسلحتها قد اعتمتا ابصار قوادها عن الاخذ باسياب الحذر والبحث فيما عليه الاعداء من البأس والقوة حتى لقد سمعنا كبيرها يقف امام الضباط يوم اعلنت الحرب فيقول حذوا ملا بسكم الرسمية معكم لترتدوا بها في صوفيا عاصمة بلغار ثم التحم الثريقان فاصاب جيوشنا من الغارو الخزي والخسائر الجمة في ثلاثة اسابيع ما لا يعرف التاريخ له شيئا من قبله وجود الاسلام

فاذا كان من نتائج كثرة الجماعات ومضاعفة عدد المقاتلين ما اوضحنا لك
كان من مقتضيات حكمة الله الا يبقى حكمه الاول في المسلمين وقد زاد
عددهم وكثر سلاحهم وفشاههم ما فشا في غيرهم من الامم سنة الله التي
قد خلت في عبادته . بل يجمل باللطيف الخبير العالم بما تظهره الا لسنة
وما يخفيه الضمير ان يخفف الله عنهم تلك العزيمة الاولى بعد ان اعتري
نفوسهم من الضعف والوهن ما لا يمكنها ان تتحمل معه ذلك الحكم الاول .
ذلك هو سر قوله تعالى (الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين
باذن الله) ومما قررنا يتبين ان القول بنسخ الآية الثانية للاولى في هذا
الموضع وجيه جدا وان من العبث محاولة صرف الآية عما تدل عليه بلفظها
واسلوبها ومطابقتها للعقل والواقع .

(الثالثة) آية السيف . وهي « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد »
فانهم يقول انها نسخت جميع ما عداها من آيات العفو والصبر والصفح .
ويقول المنكرون للنسخ ان منزلة هذه الآية من تلك الآيات منزلة
المقيد من المطلق وقد تقرر وثبت انه اذا كان هناك خاص وعام او مقيد
ومطلق حمل العام على الخاص والمطلق على المقيد ولهم كلام طويل في هذا المعنى .
ولقد قال الضحاك وعطاء والسدي ان هذه الآية منسوخة بآية
القتال (فاذا القيتم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى اذا اختتموهم
فشدوا الوثاق فاما مناً بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها) فاسير

المشركين على هذا لا يقتل صبوا بل يمن عليه بالاطلاق او يفادي بشئ
من المال .

وقال ابن زيد الآيتان محكمتان قال القرطبي وهو الصحيح لان
المن والقتل والفداء لم تزل من احكام رسول الله (ص) فيهم من اول
حرب حاربهم وهو يوم بدر وقال الرازي ان الآيتين متوافقتان .
والذي نراه نحن ان آية السيف التي نحن بصددنا نزلت في معنى خاص .
ذلك ان الله تعالى اراد ان يحظر على المشركين دخول مكة حتى لا تكون فتنة
ويكون الدين كله لله . فهذه الآيات من سورة التوبة لتدبرها ظاهرة في الغرض
الذي نزلت لاجله . يدل على هذا تأويل بعض العلماء قوله تعالى (واقعدوا
لهم كل مرصد) بان يأخذوا عليهم جميع طرق مكة حتى لا يدخلوها .
ومن ذلك ما رواه اسرائيل عن ابي اسحاق عن زيد بن تبيع قال نزلت
برأة فبعث النبي ابا بكر ثم ارسل عليا فاخذها فلما رجع ابو بكر
قال نزل في شئ ؟ قال لا ولكن امرت ان ابلفها انا اورجل من اهل بيتي
فانطلق الى اهل مكة فقام خطيبا فيهم بأربع لا يدخل مكة مشرك بعد عامه
هذا ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الانفس مسلمة . ومن كان
بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته .

ولا يخفى ان منع المشركين من دخول مكة امر مقطوع به ومستمر
ابد الدهر وقد جاء ذلك نصا في آية (يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وهذه الآية نزلت
في السنة التاسعة من الهجرة وهي نفس السنة التي نزلت فيها سورة

التوبة بما فيها من آية السيف وغيرها . اذا فلا كثر من الكلام في هذه الآية يكاد يكون من العبث واللغو

(الرابعة) قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر)

استشهد القائلون بوقوع النسخ في آيات القرآن بهذه الآية . وظاهرها قد يشهد لهؤلاء ولكن الحق هنا فيما نرى مع ابي مسلم الاصفهاني . ذلك انه يقول ان الراي هنا ان المردبالآية المبدلة هي آيات الكتب السماوية السابقة وبابديل آيات القرآن الكريم .

واذا علمنا ان هذه الآية الكريمة قد نزلت في اليهود الذين ينكرون كل الانكار وقوع نسخ ما لا آيات التوراة وكانوا كلما جاءهم الرسول عليه الرسول بما لا تهوى انفسهم استكبروا وكذبوا و (قالوا انما انت مفتر) زعما منهم ان الله لا ينسخ شيئا مما حرمة عليهم او رسمته لهم التوراة وانه لا ينزل وحى الله بشئ من ذلك . سهل علينا ان انفهم ان قد نزل في الرد عليهم قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين)

ثم ان التالى لما يجيئ بعد آية التبديل هذه من آيات سورة النمل يجد اكثرها يشير الى هذا المعنى الذى اسلفناه واعتبر ذلك بقوله تعالى (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا انعمة الله ان كنتم تعبدون . انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به) وبقوله

(وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) فانك تجدها من وادى الآية التى نحن بصدددها وما هي الا مجادلة لليهود ومحاجة لهم فيما زعموا من استحالة النسخ وتكذيب ما يجيئ به القرآن الكريم ناسخا لتوراتهم ورافعا لشاق تكاليفهم (مصدق لما بين يدي من التوراة ولا حل لكم بعض الذى حرم عليكم) ومن ادلة وقوع النسخ في القرآن ان الزوجة المتوفى عنها زوجها كانت تعتد حولا كاملا كما هو مصداق آية (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج) ثم نسخ هذا الحكم بآية (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا)

ووجه دلالة هذه الآية الاخيرى والآية الثانية على وقوع النسخ في بعض احكام القرآن باحكام اخرى قرآنية لا ياباه الا قليلو التحصيل من طلاب الاصول او الفلاة المفرقون في ترويج آرائهم بالحق وبالباطل وقد علمت مما اسلفنا ان الحكمة الالهية اجدر ان تجعل تكاليف الله تعالى طبقا لما تسعه مقدرتهم واستعدادهم وما تبلغه طاقتهم . ومن غريب امر ابي مسلم انه لم يعتمد في انكاره وقوع النسخ في القرآن الا على سند واحد هو قوله تعالى اذ يصف القرآن الكريم (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه) . ولو تدبر ابو مسلم هذه الآية وامعن فيها انظر لرأى بعد موضوعها عن وادى مسألة النسخ .

ان هذه الآية يفسر مغزاها قوله تعالى في آية اخرى (انا نحن

نزلنا الله كروا ناله لحافظون) فالمنى ان القرآن الكريم محفوظ من ان يصاب بشئ من الباطل كالتحريف والتبديل والزيادة والنقص كما حصل في التوراة والانجيل ولا بشئ من الوسوس والفسائس التي كان يليقها المضلون من شياطين الانس في الاوقات التي كان يرتل فيها الرسول القرآن (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا نحن الى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته)

بقيت هنا مسألة لا بد لنا من التعرض لها. ذلك ان الذين خاضوا في امر النسخ واسرفوا في ترويجه وتأييده قد جعلوا المنسوخ اقساماً ثلاثة احدها ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته. ثانيها ما نسخ تلاوته وبقي حكمه. ويمثلون لهذا بما يروى من قولهم (الشيخ والشيخة اذا زينا فارجهما البتة نكالا من الله) ويقولون ان حكم الرجم باق وانما نسخت هذه العبارة تلاوة فقط . ثم يقولون ان هناك قسماً ثالثاً وهو ما نسخ حكمه وتلاوته ويمثلون لهذا بما يروى من ان القرآن نزل في الرضاع بعشر معلومات ثم نسخ بخمس معلومات فالعشر مرفوع التلاوة والحكم والخمس مرفوع التلاوة باقى الحكم .

هكذا قالوا ولو انهم تدبروا ما قالوا وتفكروا قليلا في عاقبة اقوالهم هذه لحطمو اقلامهم وكسروا اناملهم قبل ان يخطوا في ذلك حرفاً واحداً . ان جميع ما ورد لاولئك القوم في باب النسخ واقسامه كلام ساقط سخيف قد اصاب الدين الاسلامى بنتائج السيئة وثمراته المرة .

ان القوم مع تعريفهم النسخ اصطلاحاً بانه نسخ الاحكام العملية غير المؤبدة بنجدهم بعد ذلك يتوسعون ويفسحون لانفسهم رقعة التصرف وتخطى الحدود التي رسموها بتعريفهم فتراهم يقولون بوقوع

النسخ في بعض القصص او الامثال كما انهم قد يقولون بجواز النسخ في التلاوة فقط مع بقاء الحكم على ما كان عليه . ولا يخفى ان هذه افكار ساقطة وآراء سقيمة وان اطلال فيها من لم يقدر ان يزونا كلماتهم او يكبحوا جماح اقلامهم .

قد نفهم سر نسخ حكم من الاحكام ونرى بابصارنا في القوانين الوضعية والكتب السماوية لذلك الامثال الكثيرة ولكن هل يستطيع احد من اولئك الخاطئين ايضاح سر ما يدعونه من وجوه النسخ في التلاوة دون نسخ الحكم؟ اذا كان القرآن الكريم هو القانون الالهى المحيط بما يلزم الناس من الاحكام الكفيلة بسعادة متبعيها في الدنيا والآخرة فهل يعقل ان ينسخ الله ما يدل على بعض احكامه الثابتة الباقية من الالفاظ والعبادات؟ اللهم انه لا يجوز ذلك الا معتوه لا يعي اوجاهل لا يفقه عاقبة ما تسجله يده من الظنون والسخافات. على انه كيف يتفق القول بجواز نسخ التلاوة دون الحكم والقول بان النسخ انما هو خاص بالاحكام غير المؤبدة . يظهر ان هؤلاء غفلوا عن حدود تعريفهم فقالوا بنسخ التلاوة مع بقاء الاحكام . ثم اغرب من هذا كله ان يقولوا بانه وقع نسخ التلاوة ونسخ الحكم جميعاً في بعض آيات القرآن ولا سند لهم سوى بعض اخبار الآحاد التي لا يجوز ان تعارض او تناقض شيئاً من القرآن الكريم الذى انزله الله وقام الرسول بتبليغه كما هو ثم استظهره الحفاظ في عهد النبوة وما زال منذ ذلك العهد تستظهره ملايين الحفاظ من المسلمين في كل جيل حتى انتهى اليها كتاباً محفوظاً متواتراً

فانقول بان القرآن يحتوى على ما نسخ تلاوة مع بقاء حكمه من الايات

الفلسفة والأخلاق

ابن رشد و تعاليمه

٥

السعادة الآخروية

لقد اخذ الاعتقاد بالسعادة الآخروية ادوارا كثيرة واخذت كل امة تفسره بما لا ينكره عقلها ولو شئنا ان نفصل اعتقادات الناس في هذه المسألة لاحتجنا الى مجلدات ضخمة لذلك نريد ان نأتي بنبذة صغيرة نبين فيها التطورات التي مرت على هذه المسألة . اما آراء الناس في هذه المسألة فتتضمن في اربعة (١) طائفة تنفي المعاد وتنكره وهؤلاء نفر من قدماء الطبيعيين لا يعتمد برأيهم ولا يابيه لهم ولقد انكر عليهم قولهم ونقض براهينهم اكثر الفلاسفة (٢) طائفة أثبتت السعادة الآخروية ولكن جعلتها للروح لا للبدن لانها رأت ان السعادة انما يحس بأثارها النفوس اما الاجسام فهي آلة للنفوس تنصرف فيه كما تشاء وتتوصل به الى ما تشاء . وهذه الطائفة الفلاسفة الالهيون (٣) طائفة أثبتت المعاد والحشر للجسم والروح معا وهو قول الاصفهاني وابن زيد الدبوسي وكثير من المتصوفة

(٤) طائفة أثبتت المعاد للجسم ولكن لجسم آخر غير هذا الهيكل وقد ذهب الى هذا القول من نفا وجود النفس الناطقة المجردة وهؤلاء اكثر المتكلمين من المسلمين

وينقل عن جالينوس التوقف في هذه المسألة فانه قد تعارضت لديه ادلة الانبياء والنفي فتعذر عليه الترجيح ولقد كانت هذه المسألة شغله حتى في مرض موته ولما لم يهتد الى حلها كعض المسائل الأخرى التي حار فيها قال اني ما علمت ان النفس هي المزاج فتعذر عند الموت فيستعمل اعادتها او هي جوهر باق بعد فساد البدن

منشأ الاختلاف

اما منشأ الاختلاف في هذه المسألة فهو تمثيل الشرائع لها بصفات مختلفة واساليب متنوعة فتارة تمثلها بما يلائم الروح وتارة تمثلها بالذائد الجسمية والشهوات الحيوانية لذلك اختلفت الآراء وتشعبت حسبها فهتمت من تمثيل الشرائع ووصفها لها لذلك ترى المتكلمين من المسيحيين والمسلمين يرون

قول سخييف وهوس بين . وكذلك الاعتماد على خبر الاحاد في ان احدي السور كانت طويلة فنسيت منها آيات او ان فلانا قال انه سمع آية كذا تتلى ثم نسخت انما هو طعن في الدين وايداء للقرآن وجهل بما يتقبله العقل السليم من الدرجات المتفاوتة بين المرويات فان من الجنون المحض ان يقبل في نقض ركن من اركان القرآن الكريم المحفوظ المتواتر خبر الواحد ولو بلغ درجة الصحة التي اصطلح عليها علماء الحديث فان مبلغ ما تقيده اخبار الاحاد هو الظن (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) ولو عاش اولئك الذين ملثوا كتبهم بتلك الهذيان لا يقنوا ان جراتهم وتلاعبهم بكتاب الله ليسا جنونا فقط وانما هو جنانية على القرآن والاسلام ان اقوال اولئك المفرطين ورواياتهم التي كانوا يتصيدونها من كل مرتع وخيم قد اصبحت اليوم معاول في ايدي مبشرى الصليبيين يحاولون بها تنقيض اجزاء الاسلام . ولقد ظهرت كتبهم المضللة فهل نجد فيها سوى مايروونه عن اولئك المؤلفين .

اننا لم نمنع وقوع النسخ بتاتا ولكن اذا جاء في القرآن الكريم ما يدل على وقوع النسخ تقبلناه وكيف لا وهو الذي تطابقه الحكمة ويقبله العقل ويؤيده النقل ولكننا لا تقبل في امر الكتاب الكريم لاسيما نسخ شيء من احكامه رواية من الروايات ولو دونها البخاري وايدها الاقنقار وغصت بها كتب التفسير . وحسبنا ان الامام الشافعي رضي الله يقول لا يجوز نسخ القرآن بشيء من الاحاديث مهما بلغت درجة صحة روايتها . واذا علمنا ان مبدأ تدوين الحديث كان على عهد عمر بن عبد العزيز (تولى سنة ٩٩ ومات سنة ١٠١) اذ أمر بذلك ابن شهاب الزهري

مذاهب لاتتفق مع بعضها تمام الاتفاق ولا تلتئم تمام الالتئام لان كل طائفة ترى من تشبهات الشرائع وصفها للسعادة الاخرية مالا تراه الاخرى لذلك ترى القديس بولس يقول خلق الجسد مادة تزول وسيبعث على كيفية لتقبل الانحلال لانه خلق جسدا حيوانيا وسيبعث جسدا روحانيا والمسيو سيداتي يقول ان السعادة الاخرية انما هي اعراس تتعاقب اثر بعضها والقسيس شريدينبورج رئيس مذهب كنيسة او رشلين الجديد يقول ان جميع اللذائذ الدنيوية لها نظير يماثلها في الآخرة فهذه اقوال المسيحيين يناقض بعضها البعض مع ان دين القائلين واحد. وكما وقع متكلمو المسيحيين في هذا التناقض وقع ايضا المتكلمون من المسلمين ولذلك صوروها بصور مختلفة ومثلوها باشكال توشك ان تكون متباينة فينا الصوفية يصورون الحياة الاخرى بالسعادة النفسية والنعيم المعنوي ترى غيرهم من المتكلمين يصورها باللذائذ الجسمية والشهوات الحيوانية والسبب في ذلك كما قدمنا ان نصوص الشرائع ليست صريحة ولا معينة بل دائرة المعنى فيها واسعة للبحث فيه مجال ولذا لايسع احدا ان يكفر من يعتقد باصل البعث ويفسره بما يطابق عقله . بقي علينا ان نبين رأى ابن رشد في هذه المسألة فانه هو المقصود من هذا البحث ان ابن رشد يعيل الى مذهب الصوفية وعقلاء الفلاسفة من ان السعادة الاخرية مرجعها الى اللذات النفسية والراحة العنقية . ولقد يحمل بنا ان نقطف هنا ما كتبه في التهافت منكرا على الغزالي ماذهب اليه من تكفير الفلاسفة في انكارهم البعث وحشر الاجساد ومثبات ان الفلاسفة لم يذهبوا هذا المذهب . قال

ان الفلاسفة لم يوجد واحد منهم انكر حشر الاجساد والقول بحشر الاجساد اقل ما له منتشر في الشرائع الف سنة والذين تأدت اليها عنهم الفلسفة دون هذا العدد من السنين وذلك ان اول من قال بحشر الاجسادهم انبياء بنى اسرائيل الذين اتوا بعد موسى عليه السلام وذلك بين من الزبور ومن الصحف المنسوبة لبني اسرائيل وثبت ذلك في الانجيل وتواتر القول به عن عيسى عليه السلام وهو قول الصابئة وهذه الشريعة اقدم الشرائع بل القوم يظهر من امرهم انهم اشد الناس تمظيلا لها وايمانها بها والسبب في ذلك انهم يرون انها تنحو نحو تدبير الناس الذي به وجود الانسان بما هو انسان وبلوغه سعادته الخاصة به وذلك انها ضرورية في وجود الفضائل الخلقية للانسان والفضائل النظرية والفضائل العملية وذلك انهم يرون الاحياء للانسان الا بالصنائع العملية

ولا حياة له في هذه الدار ولا في الدار الآخرة الا بالفضائل النظرية وانه لا يبلغ الى هذه الدرجة الا بالفضائل الخلقية وان الفضائل الخلقية لا تكون الا بمعرفة الله تعالى وتعظيمه بالعبادة المشروعة له في ملة ملة مثل القرابين والصلوات والادعية وما يشبه ذلك من الاقاويل التي تقال في الثناء على الله تعالى وعلى الملائكة والنبين ويرون بالجملة ان الشرائع هي الصنائع الضرورية المدنية التي تؤخذ مبادئها من العقل والشرع لاسيما ما كان منها عاما لجميع الشرائع وان اختلفت في ذلك بالقل والاكثر ويرون مع هذا انه لا ينبغي ان يتعرض بقول مثبت او مبطل في مبادئ العامة مثل هل يجب ان يعبد الله او لا يعبد وكذلك يرون في سائر مبادئ مثل السعادة الاخرية وفي كيفية لان الشرائع كلها اتفقت على وجود سعادة اخرى وان اختلفت في تصوير ذلك الوجود وتمثله كما اتفقت على معرفة وجوده وصفاته وفعاله وان اختلفت فيما تقوله في ذات المبدأ وفعاله بالقل والاكثر ولذا هي متفقة في الافعال التي توصل الى السعادة التي في الدار الآخرة وان اختلفت في تقدير هذه الافعال فهي بالجملة لما كانت تنحو نحو الحكمة بطريق مشترك للجميع كانت واجبة عندهم لان الفلسفة انما تنحو نحو تعريف سعادة لبعض الناس العقلاء وهو من شأنه ان يتعلم الحكمة . والشرائع تقصد تعليم الجمهور عامة ومع هذا فلا نجد شريعة من الشرائع الا وقد نهت بما يخص الحكماء وعينت بما يشترك فيه الجمهور ولما كان المصنف من الناس انما يتم وجوده وتحصيل سعادته بمشاركة المصنف العام كان التعليم العام ضروريا في وجود المصنف الخاص وفي حياته اما في وقت صباه ومنشئه فلا يشك احد في ذلك واما عند نقلته الى ما يخص فن ضرورته لا يستهين بما يشاغله وان يتأول لذلك احسن تأويل وان يعلم ان المقصود بذلك التعليم هو ما يعم لا ما يخص وانه ان صرح بشك في المبادئ الشرعية التي نشأ عليها او بتأويل انه مناقض للانبياء وصارف عن سبيلهم فانه احق الناس بان ينطلق عليه اسم الكفر وتوجب في الملة التي نشأ عليها عقوبة الكفر ويجب عليه مع ذلك ان يختار افضلها في زمانه وان كانت كلها عنده حقا وان يعتقد ان الافضل ينسخ بما هو افضل منه ولذلك أسلم الحكماء الذين كانوا يعلمون الناس بالاسكندرية لما وصاتهم شريعة الاسلام وتنصر الحكماء الذين كانوا ببلاد الروم لما وصلتهم شريعة عيسى عليه السلام ولا يشك احد انه كان في بني اسرائيل حكماء كثيرون وذلك ظاهر من الكتب التي تلقى عند بني

اسرائيل الى سليمان عليه السلام و لم تزل الحكمة امرا موجودا في اهل الوحي وهم الانبياء . و اذا كانت الصنائع البرهانية في مبادئها في المصادر والاصول الموضوعية فبالحرى يجب ان يكون ذلك في الشرائع المأخوذة من الوحي والعقل وكل شريعة كانت بالوحي فالحقل يخاطبها ومن سلم انه يمكن ان يكون ههنا شريعة بالعقل فقط فانه يلزم ضرورة ان يكون انقاص من الشرائع التي استنبطت بالعقل والوحي والجميع متفقون على ان مبادئ العمل يجب ان تؤخذ تقليدا اذ كان لا سبيل الى البرهان على وجوب العمل الا بوجود الفضائل الحاصلة عن الاعمال الخلقية والعملية

فقد تبين من هذا القول ان الحكماء باجمعهم يرون في الشرائع هذا الرأي اعنى ان يتقيد من الانبياء والواضعين بمبادئ العمل والسنن المشروعة في ملة و الممدوح عندهم من هذه المبادئ الضرورية هو ما كان منها للجمهور على الاعمال الفاضلة حتى يكون الناشئون عليها اتم فضيلة من الناشئين على غيرها مثل كون الصلاة عندنا فانه لا يشك في انها تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال تعالى وان الصلاة الموضوع في هذه الشريعة يوجد فيها هذا الفعل اتم منه في سائر الشرائع وذلك بما شرط في عددها و اوقانها و اذكارها و سائر ما شرط فيها من الطهارة وترك الافعال والاقوال المفسدة لها وكذلك القول فيما قبل في المعاد فيها هو احدث على الاعمال الفاضلة مما قيل في غيرها ولذلك كان تمثيل المعاد لهم بالامور الجسمية افضل من تمثيله بالامور الروحية كما قال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال ابن عباس رضي الله عنه ليس في الدنيا من الآخرة الا الاسماء فدل على ان ذلك الوجود نشأة اخرى على من هذا الوجود وطور آخر افضل من هذا الطور وليس ينبغي ان يذكر ذلك من يعتقد اننا ندرك الموجود الواحد ينتقل من طور الى طور من انتقال الصور الجمانية الى ان تصوير مدركة ذاتها وهي الصور العقائية والذين شكوا في هذه الاشياء وتعرضوا لذلك وافصحوا به انما هم الذين يقصدون ابطال الشرائع و ابطال الفضائل وهم الزنادقة الذين يرون الاغاية للانسان الا التمتع بالذات. هذا مما لا يشك فيه احد ومن قدر عليه من هؤلاء ولا يشك ان اصحاب الشرائع والحكماء باجمعهم يقتلونهم ومن لم يقدر عليه فان اتم الاقوال التي يحتاج بها عليه وهي الدلائل التي تضمنها الكتاب العزيز

ولو شذا ان تأتي على نصوص ما قاله الفيلسوف ابو لوليد في هذه المسألة لاستغرق ذلك صحفاعة ولذلك قد اقتصرنا على ما نقلناه سابقا لان كل الكتب تنطق بلسان واحد هي وجوب الاعتقاد بالمعاد ثم نترك بعد ذلك الحرية للانسان فيما يمتد

حافظ وهبه

اللبخة والادب

الادب في القرن التاسع عشر

عبدالله افندي ابو السعود

نابهة من نوابغ عصره نشأ بتاحية دهشور وحفظ القرآن ثم انتقل الى مدرسة البدرشين وكان ابوه ناظرها ثم انتخبه رفاعه بك فيمن انتخب لمدرسة اللسن فالتحق بها وسنه اذ ذاك اربع عشرة سنة فبرع على امثاله خصوصا في اللغة العربية ثم درس العربية بدلا عن استاذة الشيخ حسين العمري ودرس لاسنائه وكتاب مغنى اللبيب ثم عهد اليه تدريس الفرنسيه وتصحيح تراجم الكتب الرياضية بالمهندسخانه . وكان متضلعا في الفقه اذ حضر ملتقى الاجر بمدرسة اللسن على الشيخ خليل الرشيدى المفتي ومع قيامه بوظيفته التدريس كان مواظبا على الحضور بالازهر فقرأ به عدة كتب نفيسة منها الدر المختار . وتنقل في عدة وظائف اخرى منها تدريس الجغرافيه والتاريخ بمدرسة دارالعلوم ورئاسة قلم الترجمة الى ان عين في اواخر ايامه عضوا في مجلس الاستئناف وله عدة مؤلفات منها : « تاريخ مصر » و جانب من « التاريخ العام » و قد ترجم « نظم اللائي » في السلوك فيمن تولى فرنسا ومصر من الملوك و « قانون المرافعات » المدنية والتجارية و كتاب « تاريخ مصر القديم » و كتاب « الانبياء كخانة الخديويه » و « تاريخ محمد على » و كتاب في « علم الجغرافيه » و اخر في « الكيمياء الزراعيه » وطرفا من رواية « جيلابلاس »

وقد اشتغل بالشعر ايضا وله بعض قصائد لم اعثر الاعلى ثلاثة ابيات من ضمن قصيدة طويلة له :

ومن قال ان الدولة اليوم وحدها

تصفق منها الكف كي يصلح الامر

و ما ذا عسى يجدى اجتهد لدولة

وليس من الآحاد شد لها ازر

اما يقتضى ان نبذل الجهد كي يرى

لها الشطر في اصلاحنا ولنا شطر

و هو انذى انشأ صحيفة وادى انيل سنة ١٢٨٤ ثم انشأ نجله محمد انسى

بك جريدة « روضة الاخبار » فكان هو محررها

محمد افندى عبد الرازق

كان من اقران ابي السعود افندى تعلم في مدرسة الالسن و برع في العربية و الفرنسية و كان من اعظم العالمين في قلم الترجمة يضارع في قوته ابا السعود و لم ار احدا من اقرانه او اساتذته بلغ مبلغه في النثر المتين البليغ الذى لا يفتقر عن كتابة العصر الحاضر و له قاموس في الموالييد الثلاثة الفرنسية و العربية محفوظ بالكتبخانه و لم يطبع و ينقصه بعض حروف و مما ترجمه « خلاصة تاريخ العرب لسيدىو » و قد مات قبل اتمام ترجمته فكلف على باشا مبارك من اتم الجزء الصغير الذى كان باقيا منه و طبعه

و انى لمورد طرفا من كتابته في هذه الترجمة ليقف القراء على مائة أسلوبه العربى و ذوقه السليم في التعبير . قال في اول المبحث التاسع :

« كان بين الاسماعيليه و القحطانية تنافس المعاصرة المؤدى الى اختلاف الكلمة ثم مالوا الى الوحدة السياسية لتوفر اسبابها من اغارة الحبشة عليهم بمكة و اتحادهم في الاخلاق و العوائد فان سائرهم تمسك باوهام العبادة الوثنية و العوائد الجاهلية كعاملية النساء معاملة الرقيق و واد البنات مع التكبر الوحشى و حب الانتقام و المقاصة و اجازة النهب بعد الانتصار و اقامة القوة مقام الحق و قرى الضيف مع حرمان النفس تشوقا الى السمعة بين القبائل و حب شرف النفس الموجب للبسالة و الحماة و المحاماة عن المظلوم و تقديم الوفاء بالوعد على الحياة و تزيد على ذلك شهواتهم النفسية فأنها اكبر تلك الحصال غلبة و ظهورا و من ذلك يعلم انه متى اتجهت عقولهم الهائجة المضطربة الى شئ و ثبوا اليه و ثبة واحدة و ذلك يوجب الوحدة في اللغة المتيسر بعضها بواسطة اختلاف القبائل »

محمد بك عثمان جلال

كان مولعا بالآداب العربية و الافرنجية و قد تقلب في عدة وظائف الى

ان عين قاضيا بمحكمة مصر المختلطة . و ترجم في اوائل ايامه حينما كان بنظارة الحرية بعض كتب عسكريه كما اشار بذلك قدرى باشا في تقريره كتاب الامانى و المنة في حديث قبول و وردجته « ثم عكف على تعريب طائفة من مؤلفات بعض من مشاهير الشعراء و الكتاب الفرنسيين . فمما ترجمه من (كورنى) رواية (اوراس) لم تطبع و هى محفوظه عند ورثته . و مما عربه عن (راسين) اثالى ، و لم تطبع ايضا و « استير » و « ايقيجنى » و « اسكندر الاكبر » و هذه الروايات الثلاثة في مجموعة واحدة باسم « الروايات المفيدة في علم التراجم » و مما ترجمه عن (مولير) « تارتوف » و « والنساء العالمات » و « مدرسة الازدواج » و « مدرسة النساء » و هى مطبوعة و مجموعة سماها « الاربعة روايات في فن التيارات »

و عرب « بولس وفرجينى » للكتاب الفرنسى الشهير « بيرناردان دوسان بير » و اغلب حكايات (لافونتين) و سماها « العيون اليواقظ في الامثال و المواعظ »

و قد امتاز في الازجال هو و عبدالله افندى نديم و الشيخ محمد النجار و كانت له ملكة رافية فيها تزينها فكاهات لطيفة و نكات ظريفة و بها كتب معظم معرباته و له عدة ازجال متفرقة منها رواية المخدمين و هى من وضعه و نبذة في تاريخ ولاية مصر ابتداء من عهد محمد على باشا و زجل في الازهار و آخر في المأكولات

وقبل ان تفحص هذه التراجم نوردكلمة تعرف بها مزاي (راسين) و (مولير) و لو انها لا تخفى على معظم القراء

كان (راسين) من فحول الشعراء الجيدين و تختلف رواياته المحزنة (تراجيدى) عن روايات (كورنى) برقتها و قربها من الحقيقة مع سهولة مبنى الموضوع و بعده عن تعقد الحوادث و يزين شعره فن دقيق و ذوق سليم و روح مؤثرة تأخذ بمجامع القلوب . و غير خاف ان الشعر المقيد عند الغربيين بمثابة الشعر الجاهلى عندنا .

واظن ان المعرب قاته جميع هذه المزايا فلذلك عمد الى تعريبه باللغة العامية مع تصرف عظيم و جعله زجلا مضحكا ملؤه النكات او الفكاهات المصرية المتداولة بين العامة

اصبحت الترجمة لاتنفع مرید التمثيل و لا محب الادب و لا كلنا بالحوادث و الوقائع و لا مغرما بالازجال لانه خلط بين الجسد و الهزل و الحزن و المزاح

و صارت عاطلة من مزاياها الادبية و التنظيمية و التمثيلية

و من نكاته في روايه « ايتيجي »

لو كنت يوم دافعت عنها بهمتك

ما كنتش انذبت و صغرت عنك

لا اب فيك رحمة و لاجوز تشكر

الا انت واحد بربرى مخك عكر

و يمد (مولير) اول من رقى التمثيل المضحك في فرنسا و لم يبارح في هذا الفن مبار لغاية عصرنا هذا. و لم تزل رواياته خالدة على جميع المسارح الاجنبية. كان يمثل الطباع و السجايا و العادات تمثيلا لا يفتقر عن الحقيقة بشكل وحيد في بابه تزين انشاده بلاغة نادرة و قوة ساحرة و ذوق رفيع. و قد اسعد اللغة العالية و المتداولة الاستعمال باشعار و كلمات و اصلاحات ذهبت مذهب الامثال فان بحثنا عن شئ واحد من هذه المحاسن طى ترجمته لم نجده و حاشا ان نعتبر ان هذه الازجال تمثل لنا آيات (مولير) الباهرة بل هو يبرأ منها اذ في نسبتها اليه حطة و ازدراء

كلنا نعلم ان رواية (تارتوف) هي صفة ما الفه (مولير) بل احسن رواية مضحكة في جميع التمثيل الفرنسي. فسخها المترجم و قلب موضوعها و سماها « الشيخ متلوف » و نقل الحادثة الى مصر بين هذا الفقيه و كعب الخير و ام النيل و بهانه و غيرها فان اعتبرناها زجلا من ازجاله يقطع به العاصي و قته وجدناها اضعف من ازجاله الاخرى و انى مورد طرفا منها لنتأمره بغيره

الفصل الاول

ام النيل

يا الله بنا نروح قوام يا كعب خير

دولاجاعة الكى ما فيهمش خير

كعب الخير

هو جبرى حاجه هنا يا ستنا

حتى نروح برا و نترك بيتنا

ام النيل

كثر الكلام مالوش نفع يا لله بنا

راح اقعدا تلفت هناك و الالهنا

كعب الخير

بس الخروج داليه وانا شايفه الجميع

من تحت امرلكلهم سميع و مطيع

والكل تحت اليد فللى تأمره

تقدمى اللى تقديمه و تأخره

و قال في رواية المخدمين

و تفسل الحوض الكبير و تجزره

وفي الخفيف الابريق دائما تحضره

و عندنا القربه و عندنا الحبر

تملا لنا القربه من البحر الكبير

و نروح للجامع نجيب ستين رغيف

لكن تنقيهم من العيش النضيف

و كل يوم نبيع لنا العيش القديم

و يكون معك في السوق عبد الشيخ سالم

و كل شئ تسلمه لى بالعدد

او عى يفشك حدفى السوق يا ولا

ترى الفرق شاسعا بين الاثنين و ان السهولة و الانسجام يطاوعانه في الاخيرة ليت شعري ما الذى حدا به الى تغريب هذه الروايات التمثيلية؟ ايريد ان يقدم بها التمثيل في عصره ام يفتح القراء بمعجزات (راسين و مولير) ام يهدى اليهم من الحوادث و الوقائع ما يتفكهون به في اوقات فراغهم؟ و ايم الحق انها لاتصلح لهذا و لالذالك حتى ان اعتبرناها الاعتبار الاخير سئم منها القارىء و فضل عليها (روكامبول) و (اللص الشريف) و امثالهما من الروايات المشحونة بالحوادث الغريبة و الوقائع المدهشة

تطاول قلم المعرب ايضا الى الروايات القصصية التى تعد من امهات كتب النثر الفرنسي فترجم رواية (بول و فريجنى) و سماها « الامانى و المنة و حديث (بول و فريجنى) و كلنا نعلم ان هذه الرواية تعد في نوعها درة يتيمة لم يوفق احد قبل مؤلفها ولا بعده ان يأتى بمتالها او ينسج على منوالها فكانه دخل في قلب هذين الطفلين البائسين و قرأ ماخط فيهما من آيات الهوى العذرى الطاهر و اخرجه للناس في قالب رقيق ساحر كأنه انغام شجيه تستهوى ثم افئدة رقة و عذوبة

عهد المترجم في تعريبه الى السجع السمج فسخ هذه الآيات البينات
وغير محاسنها وكساهائو بامن الركامة تنفر منه القلوب قبل الاسماع واني لمورد
منها بعض جمل ليحكم القراء عليها قال في اول الكتاب قال الناقل لهذا الخبر
الصحيح ، والقول الفصيح

بنينا انا في سياحتي على كفي تعبي وراحتي

واذا بجزيرة من جزر بحار افريقيه فنزلت فيها على الجهة الشرقية فرايت
تحت سفح الجبل من هذا المحل مينا يقال لها مينا الواس ارضا افلحت
لبعض الناس ورأيت بها اثر عشتين صغيرتين في وسط حوض كائنتين
وقبل التكام على « العيون اليواقظ » نذكر كلمة على (لافونتين) لنعرف
درجته في الفضل . اشهر هذا الشاعر الفرنسي بقصصه وحكاياته التي ذاع صيتها
في الآفاق وترجت الى جميع اللغات ولم ير في جميع الائم شاعر تقن مثله في
اسلوبه الذي جمع بين شائق القريض ورائع التعريب وسلاسة التركيب ورائق
الوصف ولذيذ الفكاهات وطلو الملح .

كان قادرا على تصوير النبات والجماد والحيوان قدرته على تمثيل اشخاصه
تمثيلا لا يشوبه انتقصير ولا المغالاة حتى اصبحت حكاياته نافعة لتهديب الغتيان
قبل الصبيان ومهما كنت قادرا لاستطيع ان اوفي هذا النابغة حقه في المجد
الاثيل والفضل الجزيل وما على القارئ الا ان يرجع الى الاصل الفرنسي
ويعلم فيه ليجتلي خفي معانيه ودقائق مبانيه

سلك المغرب سبيل التصرف المخل وكان مسوقا اليه لركونه الى النظم والتعريب
اذ لا يتيسر لاشعر الشعراء ان ينقل الى الشعر شيئا دون تصرف حتى المترجمين
من الافرنج لا يترجمون النظم الانزا ولو كانت الترجمة والاصل من لغتين
مصدرها لاتني ليحافظوا على روح الشاعر واسلوبه ومعانيه الدقيقة حتى
يكون الاصل والترجمة صنوين او توأمين

تعرض المغرب في كتابته الى الازجال والادوار والاراجيز وشيئا قليلا يعد
على اصابع اليد من بحور العروض الاخرى . وغير خاف ان الرجز ممقوت
ولا يعتدبه الشعراء لانه من خصائص الفقهاء اذ ينظمون به متونهم وعبر عنه
بعض الفضلاء بجمار الشعراء

فبعمله هذا ذهب بطلاوة هذا النظم البديع والمحاسن الرائعة وضاعت

الفكرة المنشودة واصبحت الترجمة لا تليق ان تعزى لشكلها هذا الى عطارد
الزمان في القصص والحكايات

ومن انعم النظر في قريضه بهذا الكتاب وجده لا يفترق تقريبا عن نثره
الذي اوردنا طرفا منه وما على القارئ الا ان يراجعه المستبين صدق ماقلناه

الشعر والشعراء

معرك الحياة

هو الدهر لم يترك مشن غواره على سابق من ليله او نهاره
يشير غبار الحادثات بكره وهل نحن الا من مثار غباره
وكم عبر مطوية في صروفه فهل من مجيل فيه طرف اعتباره
خليلى ان الارض غمر بالقدرة تجمعت الاحياء بين اطاره
تمسد به كف الزمان تحركا لمحو ضعيف اولا ثبات فاره
فيبقى به الاعلى قرين ارتقائه كما يسقط الادنى رهين اندثاره
فلا عيش في الدنيا لمن لم يكن بها قدرا على رفع الاذى والمكاره

* *

لعمرك ما هذي الحياة بملبس لمن حيك من عجز نسيج شعاره
ولكن لمن امسى بايد وقوة يجر على الايام فضل ازاره
ارى الشمس يخفي ضوءها كل شارق وان كان ينبو الطرف عن مستناره
وما ذاك الا انها في تلهب يموج بنور ساطع وقد ناره

فلم يستطع نجم طلوعا تجاهها اذا لم يعذ بالليل شب اعتكاره
كذلك ضعيف القوم ان كان جاره قويا يكن شلوا اكيلا لجاره
وما الايث لولا بأسه في عرينه باشراف من صب الفلا في وجاره
ومن غاور الايام غير مدجج فلا يطمعن في مغنم من مغاره
ومن لم يهن صرف الزمان برحلة تنه صروف الدهر في عقر دازه
وما شرف الدر الثمين فريده اذا هو لم يبرح بطون محاره

ارى كل ذى فقر لدى كل ذى غنى اجيرا له مستخدما في عقاره *
ولم يعطه الا اليسير واما . . على كده قامت صروح يساره
ويلبس من تذليله الغز ضافيا وينظره شزرا بعين احتقاره
يشد الغنى ازر الفتى في حياته وما الفقر الا مكسر في فقاره
وليس الغنى الا غنى العلم انه لنور الفتى يجلو ظلام افتقاره
ولا تحسبن العلم في الناس منجيا اذا نكبت اخلاقهم عند مناره
وما العلم الا النور يجلودجى العمى ولكن تزوغ العين عند انكساره
فما فاسد الاخلاق بالعلم مفلاحا وان كان بحرا اخر من بحاره

سل الفلك الدوار عن حركاته فهل هو فيها دائر باختياره *
وهل هو في هذا القضاء مسافر له غاية مقصودة من سفاره
وهبنا جهلنا بداه من تقادم فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينجلي ليل الشكوك عن النهى وترفع كف العلم مرخى ستاره
الاورى في زند الزمان فتهتدى بسقط ضئيل من سقيط شراره

ارى الدهر ليلا كله غير مبصر وان كان في رأد الضحى من نهاره
واهلوه ساروا خابطين ظلامه وان ركبوا في السير متن بخاره
لعمرك ان الدهر يجري لغاية فان شئت ان تحيا سعيدا فجاره
وها هو ذا يعدو فيبتدر المدى وينهب اعمار الورى في ابتداره
لقد فاز من بارى جديديه جدته وخاب الذى في جده لم يباريه
وليس حياة الناس الا تجردا مع الدهر في ايباسه واخضراره
وما الناس الا الماء يحيه جريه ويرديه مكث دائم في قراره

لك الخير هل للشرق يقظة ناهض فقد طال نوم القوم بين دياره *
الم تر ان الغرب اصلت سيفه عليهم وهم لاهون تحت غماره
وبادرهم كانسيل عند انحداره وهم في مهاوى غفلة عن بداره
اما ان للساهين ان يابهوا له فقد اصبحوا في قبضة من اساره
تراهم جميعا بين حيران واجم وآخر يطرى ماضيا من فخاره
معروف الرصافي

الاتحاد الاسلامى

للكتاب القدير جلال بك نورى

ان افكارى فى موضوع الاتحاد الاسلامى والخلافة والمسألة المصرية معلومة مما كانت جريدة اللواء تنقله وتقبسه من اقوالى ولكنى اكتب هذا المقالة اليوم لاجل فيها تلك الافكار واعرضها على اخوان الترك والمصريين لاني اعتبر ذلك مفيدافى توثيق عرى الالفه بين الرعايا الشاهانيين عموما

ان الاوربيين لا يحبون الامن نشأ وترعرع على فكرة الغرب التى تقدر القومية والوطنية اما الترك والعرب والمصريون والبربر والهنود وبالجملة جميع الامم الاسلامية لاثرت للاخلافات القومية والجنسية بينهم لان تعاليم الشريعة المحمدية الغراء ليس فيها للقومية اساس ولا اثر بل بمعنى اصح ان جميع مسلمى العالم ملة واحدة .

ان المسلمين الذين يقدسون الخليفة ويقررون ببيته بينما هم يخضعون لحكومات اجنبية اذ عمدوا الى اعتبار انفسهم ملة او قومية منفصلة وما ذلك الا لعدم ادراكهم حقيقة روح وتعاليم الشريعة الاسلامية الفيحاء ان لب الاسلام كما قال ارنست رينان قوة مدهشة توحد بين جميع اتباعها بصرف النظر عن اللغة والوطنية والجنسية والطبيعة والمزاج وبناء عليه فليتشرب وليعم العالم مذهب اوربا الاستعماري المستطاع وتفتتح وتسخر دول اوربا اسيا وافريقيا والاوقيانوسية ماشاءت فان كل ذلك لا يفصم عرى المحبة والاخاء الوثيقة التى بين المسلمين . بل كلما ازدادت تلك الدول ظلما وعسفا وانقلت المسلمين ارهاقا وخسفا تيقظ العالم الاسلامى وازداد شعوره .

ان بولونيا التى كانت قد مزقتها الخلافات الحزبية وقهقرت احوالها المشاحنات الفرقة حتى انسبهم الوحدة القومية والعاطفة الوطنية ما استرجعت شعورها وفقحت رابطتها الجنسية والمالية الا اليوم ان تقاسمتها دول روسيا والنمسا وبروسيا وهناك هبت تدافع عن كيانها فاحتلال انجلترا لمصر وفرنسا لتونس والجزائر وقيامها لاثام مراكش واعلان دولة ايطاليا الممقوتة الجرب على الخليفة بغية اغتصاب طرابلس وبنغازى بقوة السلاح كل هذه الكوارث ايقظت العالم الاسلامى حتى القبائل المراكشية التى ما كانت تعرف غير غزو بعضها ولا تضمر غير النكابة والحق الاذى بحيرانها فى الازمان الماضية التى ما كانت تفكر فى شئ غير ذلك اصبحت اليوم راغبة فى الرقى عاملة على توثيق عرى الرابطة القومية والمالية .

قد نجد بين النصارى الروم والقبط والفرنسيين والارمن والانجليز . . الخ وهم امم متفرقة وملل مستقلة اما فى الاسلام فلا اثر للجنسية فان هذه

التقسيمات ليست تقسيمات قومية وجنسية . واذا كان الرومى يعتبر الفرنسى اجنيا فالهندي المسلم لا يعتبر البربرى اجنيا وكما ينظر الباريسى او المارسيلى الى ابن ليون اونانيس فكذلك التركى الى القوقازى الى العربى الى الجاوى بمثل هذه المنزلة فاحدهم للآخرين قريب صميم فالاسلام فوق جميع هذا الاعتبارات فهو اخاء عام بين الملل فهماء فشت الدسائس الاجنبية ومهما راجت بيننا اموال ومساعى الدول الغربية فى بلادنا فكفى على ثقة بان هذه الرابطة لن تنحل او تقسد لان رابطة الاخوة المتينة التى دعمها الاسلام مارا يناحق الساعة اى قوة استطاعت ان تقاومها او تبدلها . ان مقام جلالة الخليفة الاعظم بصفته الخلافة ارفع مائة مرة من مقامه بصفته سلطانا اى ان السلطان محمدا الخامس اولا خليفة ثم بعده ذلك سلطانا والعالم بأسره يعترف بهذه القوة ويحترمها ومن الواجب على هذه القوة ان تتجلى فى العصر الحاضر وتتبع نظامات وتنسيقات عملية تلائمها واذا شاءت دول اوربا المحافظة على مصالحها المادية يجب عليها الاتعاض هذه القوة كاتعمل ايطاليا وغيرها بل تجب اليها وتصادق هذه القوة واتى اقول بكل جرأة انهم لن يجدوا فى المستقبل طريقا غير هذه الخطة . ان الاوربيين يعتقدون ان لا اثر للرأى العام فى الشرق عموما والعالم الاسلامى خاصة ولكنهم يخطئون وربما كانت الاختلافات الحزبية ودواعى الرياسة فى الشرق والعالم الاسلامى ليست عظيمة كما هو الحال فى الجهات الاخرى وربما كانت الافكار العمومية غير ملثمة فى هذه النقطه . ولكن اذا شجرت خلاف دينى ودخلت الكرامة الدينية فى موضوع الجدل والبحث فهناك ترى زنوج افريقيا (المعتبرة احط القارات فى المدنية) يرفعون عقيراتهم ويعلمون عصبانهم دفاعا وغيره على دينهم .

ان الحكومة العثمانية هى دعامة قوة هذا الاتحاد العام ومن الواجب عليها الاستانة بصورة مشروعة من هذا المركز اذ برهاهيه العالم الاسلامى تكسب الدولة العثمانية عظمة وبأسا وعلى الخصوص مصر ذلك الجزء العثمانى الذى لا ينفصل عن الدولة التمس الحظ الساعى فى تحرير نفسه والتعريف به وسعادته المجدى فى استرجاع سابق عظمته ومجده نعمته من اهم العوامل المرقية الرافعة شأن دولتنا . ان مصر وبقيّة اجزاء الدولة العثمانية اعضاء جسم واحد لا تنفصل فكما ان الطفل اذا ما فطم عن ثدى امه يبقى محبا متعلقا بها كذلك هذان العضوان تجمعهما هذه الرابطة المتينة

ومع الاسف ان بعض شباننا الذين شعروا بكرامتهم فجأة لا يدرون حقيقة ما يجرى فى الاوساط الاوربية . ان اوربا تود ان تجذبهم ببرقشة مدنيتهما وتعميمهم عن حقيقة انفسهم مع اننا اهم اركان ودعائم العالم الشرقى ولن يكون كلالنا وورقنا

المسألة وذلك فرض عين على كل فرد منهم : ولكن على ثقة بان انجع طريق خلاص ونجاة العالم الاسلامي من اسره الخالي المعارف والعلوم فيها يرتفع قدره اكثر من الاعتماد على نظريات الموازنات الدولية والاضطرابات والحروب والمؤثرات الدولية مادامت اوربا تتر العالم بعلومها وتحرمنا ما استطاعت من المعارف وبذا تسنى لها التسلط علينا وارهاقنا والتجبر فينا فن الواجب علينا ان نفقه سر هذا التفوق جيدا ونذكر ان العلم هو الاساس الوحيد فلنتسلح به ما استطعنا لنضمن فوزنا وظفرنا في معترك الحياة

ان اوربا تدرعت بكل طريقة لحو المعارف واللغات الاسلامية حتى انها قد توجد طرقا واصولا لا يقبلها العقل ولا تمر بمخيلة الانسان . و الى القارىء نموذج بسيط . ان لكل لغة في القرى والساكن توجد لهجات عامية لا يمكن حصرها في كتابة او قراءة ولا تربطها با داب اللغة اى لحة فاهالى البادية النائية عن الجهات العاصرة الذين حرموا نور المعارف يتكلمون عادة بهذه اللهجات فاذا ما استنار وتعلم الشخص منهم قليلا يهجر هذه اللهجة العامية ويقبل على اللغة الفصحى الادبية بكل ارتياح اذ نفس المدة تستوجب معرفة اللسان الادبي ان هذه اللهجات العامية توجد في كل مكان فنسبة اللغة الكردية الفصحى الى اللغة العامية (زارا) واللسان العثماني البليغ الى اللهجة العامية (اذرى) والاسبانية اليهودية واللهجة اليونانية المستعملة في الجزر السبع ولهجات الطليان الرديئة كنسبة لهجات (قلون) و (باسقى) و (يروفانسال) الى الفرنسية او البربرية الى اللغة العربية و بعض هذه اللهجات محرفة عن اللغات الفصحى الادبية وبعضها لغات قديمة اتمسخت و خرج منها اشكال متناسخة

فالان نرى فرنسا في شمال افريقيه لكي تبعد المسلمين عن المعارف وتحول دون ارتشافهم سلسيل العلوم تهجر اللغة العربية وتحاربها بينما نجدها تسمى في اجزاء اللغة البربرية وهى لغة كان لها اصل قديم . فقد كانت في عهد الرومان اللغة العمومية للقبائل البدوية القاطنة بشمال افريقيا ولكنها بقيت في العهد الاخير خاصة بالجهلة و اهل البادية . وقد اصبحت بعض الجهات اليوم تجهل العربية تماما و اندرست منها ادبياتها ولم يبق لها طلاوتها و جمالها في نظر السكان حتى كانوا ليست بلغة حية وحتى ان المعارف بها ليستجى من التكلم بها امام احد

بالنفور ومقت ماهو شرقي وتقليد كل ماهو اوربي بل ان سعادتنا ونجاحنا فيما ينفع ويرقى للعالم الشرقى و امه . واذا اما تركنا عوائدنا وطبائعنا القومية تمحى من صحيفه الوجود ولكننا اذا ماتسكننا بماداتنا وتشددنا في العمل با دابنا والرجوع الى تعاليم مدينتنا الدينية فهناك ترجع عظمتنا وندخل في مصاف الدول الراقية الكبرى و انى اظن ان اليابان والولايات المتحدة الامريكية اللتين وحدتا جاهاتيهما القومية ودخلتا في عداد الدول العظمى بخضوعهما لنفوذ الغرب ولا باستكانة المذبوح لكل ماهو اوربي بل بالعكس انهما مابلقتا غايتيهما ولا نالتا درجتيهما الا بالابتعاد عن الغرب والنفور من تقليده والخضوع لنفوذه

ان العالم الاسلامي ليس اليوم في درجة تمكنه من الحاق الاذى والضرر بدول الغرب وليس من الانصاف اعتبار حالة اوربا اليوم المرتبكة المتذبذبة كأنها حالة طبيعية والمتوكل من عرف كيف ينتظر عاقبة الاحوال الحاضرة . ان اهم واجب يتحتم على العالم الاسلامي ان يرفع درجته العلمية وينافس الغرب في مدينته رغم ان رغبته في اربعين او خمسين سنة خرج النابغين وكبار المفكرين واذا ما ظهرت هذه النفوس فهناك ترى اوربا التي تعاملنا اليوم بكل عنف وخشونة قدر كمت خاضعة امام هذه القوة . ان الامم التي تعرف شرفها ووقار مقامها والتي تقنع بذكاء ودهاء ابنائها وتعتمد على اخلاقها القومية يستحيل ان يدرس مجدها في اى وقت وانما اى قوة مهما تراكت المصايب واشتدت فداحة الظلم والجور عليها فلا بد ان يأتى اليوم الذى تعلن فيه ظفرها وانتصارها على غاصبها ويستحيل ان تدرس هذه الاحساسات ويقتل هذا الشموخ . ان المدافع والاسلحة المادية لا تقضى قط على امل الامم اذ ان تأثير المدفع والبنادق على الماديات المجردة فقط وليس لها اى تأثير على الاحساس والوجدان . انى منذ اشرفت شمس الحرية العثمانية اجاهدوا خدام هذه الفكرة واروجها في العالم الاسلامي فعسى ان تكمل المساعي بالنجاح والفلاح

العالم الاسلامي

ان اوربا تضمن تفوقها على العالم الاسلامي بشيئين !
(١) سعيها الخيى في منع انتشار العلوم والمعارف والصنائع والمدنية الغربية في مستعمراتها .

(٢) تفهقر العالم الاسلامي في العلوم والمعارف هذه الحطة تسير عاها جميع الدول الغربية بكل جد واهتمام وبناء عليه لو اراد المسلمون استرداد حقوقهم فاول ما يجب عليهم حصر وقهم و همهم في هذه

المتعمدين مع ان كل بربري يود اثبات تمدينه ورقية يجب ان يعود لسانه
ما استطاع التكلم بالعربية الفصحى . و خلاصة الكلام ان البربري اذا ما قام بالمدن
والمراكز والسواصم وازاد ان يظهر كإنسان كامل فاضل يشبه مجرد تشبه بالعربي
في اللغة والاهج كما ان الفلاح الاناضولي الفتح اذا أتى من قسطنطين او قونية الى
الاستانة و داوم على مدارسها قليلا و خالط العالم يهجر لهجته العامية الجافة
ويقترب من اللغة الفصحى ما أمكن ففرنسا الآن بقلتها اللغة العربية تعمل على
احياء هذه اللهجة الغربية العجيبة . وبما انها تعلم ان اللهجة البربرية لا يمكن تعلمها
فهي تبطل اللغة العربية العذبة البيان وتحل مكانها كلاما وحشيا وبهذه الواسطة
تأقى النفرة والتفرقة بين العرب . وترى بعض المنفقين ذوى الأقوال الخيالية
يدعون بانهم سيخرجون سكان افريقيا من العرب ويحردونهم من الشعور العربي
القومي ولهم ادلة فعلية تبرر وعودهم

وها هي فرنسا ايضا تنفق الاموال الوفيرة والمرتببات الضخمة لبعض الزنادقة
الملاحدين بافريقيا لكي يبعثوا المسلمين عن اصول دينهم . فالجمهورية الفرنسية
تعلن مدنها يدالمعونة لعلماء المسلمين لتثبت في الوري حسن نيتها وشريف مقاصدها
نحو الاسلام بينما هي تدفع باموالها اهل الفساد لزروع بذور النفاق والمفاسد بين
الموحدن حتى ان جريدة الطان الشديدة الدفاع عن حقوق مسلمي تونس
والجزائر ومراكش ازاء المستعمرين تستصوب خطة فرنسا وتراها محتمة و تقول
بالاتررد في عددها ١٨٥٦١ الصادر في ١٧ ابريل سنة ١٩١٢ انه من الواجب
على فرنسا ان تزرع بذور الشقاق وتوجد العدواة بين اهالي مستعمراتها النضمين
بذلك دوام سيادتها وحكمها

ونظرا الى ما جاء في جريدة الطان يكون عدد سكان الجزائر حسب الاحصاء
الاخير ٤٢٢١٢٧٦ من الوطنيين بينهم ١٠٨٤٧٠٢ من البربر ولكن احد مصلحي
الجزائر من العلماء المسمى مسميو دونه قام بابحاث دقيقة حكم بمدنها بان احصاء
الحكومة غير صحيح اذ عدد البربر الحقيقي ١٣٠٥٧٣٠ وسبب هذا الفرق ان
كثيرا من الجزائريين يتكلمون العربية والبربرية معا !! ويقول المسميو وايسجبر
مكاتب الطان بمدينة فاس ان ثلاثة اخصاس سكان مراكش من البربر بخذا فيهم
والخمس الباقي هم العرب الحقيقيون !!..

فالذي يجعلنا نضحك هازئين امام تلك المدعيات ان الاسلام عندما طفت

امواجه وعت انواره العالم وحدث بين كثير من القبائل والامم التي اتبعتة فالحقها
جميعها بدينه الخفيف وادخلها في العائلة العربية الكبيرة جميعها اليوم ما بين عربية
او مستعربة . اما اذا لم تفكر ببناء على هذا الاساس ورجعنا الى تعيين منشأ
عناصر كل امه نجد ان الامه الانجليزية مثلا قد نقصت كثيرا . واذا اعتبرنا
ان القرويين بسبب عدم تكلمهم اللغة الادبية الفصحى لا يكونون مع سكان
المدن امه واحدة فما اعظم سخافة رأينا هذا والا فاذا نظرنا الى الترك والمجر
من هذه الوجهة نجد هاتين الامتين قد نقصتا جدا ونشأ مكانهما عشرات بل
مئات من الامم الصغيرة الجديدة . اني اظن اني بكتابه هذه الاسطر قد شرحت
خطة وسياسة اوربا المرسومة للشكايه بنا وايدت دعوى بشمال البربر فاول
واجب على العالم الاسلامي ازاء ذلك ان يصرف قصارى جهده في اقتباس المعارف
ونشر العلوم ولن يدافع عن اللغة العربية لسان الدين الرسمي اكثر من كل شيء
وليكن هذا اللسان لجميع الموحدن حبلا متينا في سبيل توحيد جامعهم

ان الاوربي نراه باوربا كالحمل الوديع ولكنه باسيا وافريقيا والاقويانوسية
سفاح وحشي . يرى الاوربي انه لا يصح لمن لم يكن اوريا ان يتمتع معه بحق
المساواة قط . انا لن نقول كلمة من عندنا لنثبت بها صحة هذه القوانين التي
ذكرناها بل ولن نبرهن على صحة الدعوى بمقالات ارباب الاقلام في الغرب
والاستشهاد باقوال المفترطين منهم بل سندخض مقالا كتب في جريدة الطان
التي لم تعرف بالافراط والتفريط والتي اخض آمالها خدمة الحكومة الفرنسية
والمداغة عن ارباب الاموال

قالت هذه الجريدة الناصرة لفرنسا المدافعة عن ارباب الاموال مايتي :
لقد بقينا في الجزائر من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٧١ نعتبر جميع ابناء العرب
اعداءنا واتخذنا كل طريقة وواسطة للتكيد بهم وقهرهم ولقد كان اهل المستعمرات
اشد انصارنا في التغلب على العرب وخضد شوكتهم والا نعد العرب من الاعداء
وهم بالنسبة لبقية اهل المستعمرات الاخرى في موقع المحكوم المقهور .
وهذا الاندحار يتجلى في صورتين (١) عدم المساواة في التكاليف (٢) عدم
مساواتهم في الاستفادة من الحكومة .

ان اهالي البلاد الجزائرية مكلفون بدفع عشر محصولاتهم الزراعية والحيوانية
الى الحكومة بينما الاوربيون واليهود معفون من دفع هذا العشر !!!

ففي سنة ١٩٠٨ كانت مساحة الاراضي التي زرعتها الاهالي ١٥١٩٧٨٥ هكتارا . دفع العرب الى خزينة الحكومة منها ١٧ مليوناً عشر محصولاتها بينما مساحة مزارع الاوروبيين واليهود كانت ٩٩٤١٤٠ هكتارا لم يدفعوا من محصولها الى خزانة الحكومة سنتياً واحداً . ولقد صار تتمتع الاوروبيين واليهود بهذا الامتياز سبباً في المخادعات والخلل اذ ان بعض العرب تخلصوا من دفع عشر محصولهم يختارون القيام ببعض التضحية فيقيدون املاكهم باسماء اليهود والاوروبيين ان اسمى الجزائر مكلفون بجميع انواع السخرة المختلفة بينا اليهود والنصارى معفون من ذلك . والاهالي عليهم حراسة الغابات وابادة الجراد ونقل الاموال الاميرية وحفظ الامن وضبط النظام بالمدن مجانا . وخلاصة القول ان الوطنيين مكلفون بدفع عدة ملايين من الضرائب زيادة عن الاجانب اما في تونس فبسبب بعض الدسائس الحربية (اني احافظ على نفس عبارة الطان) اصبح الاوروبيون بلا واسطة معفيين من الضرائب الاميرية فهم لا يدفعون ضرائب التكليف الشخصي وضريبة التمتع وغير ذلك من انواع الضرائب الشخصية وكذلك لا يدفعون سنتياً من محصولات حدائقهم ومزارعهم ولكن يقدمون للحكومة عشر محصول القمح والشعير . وبناء على ذلك نرى بالالة تونس للاوروبيين من الاراضي الزراعية التي لا تدفع شيئاً من الضرائب مقدار ٨٣٤٠٠٠ هكتارا اي ان الاوروبيين اهم مركز ممتاز بين اهالي تونس وفوق ذلك فسلموا الجزائر وتونس من وجهة الاستفادة من الحكومة في دركة احط واسفل من النصارى بكثير وفي الواقع نرى من قواعد الحكومة الاساسية عدم استفادة المسلمين منها اي ان المسلمين عليهم دفع جميع الضرائب التي يصرفها النصارى واليهود في مصالحهم ومنافعهم والعرب محرومون من كل شيء فجميع البلديات بايدى الاجانب الذين يعلمون كل المشاريع النافعة لانفسهم حتى ان اربعة او خمسة من مستعمري الفرنسيين ينفقون الاموال و الضرائب المجموعة من اهل القضاء البالغين عشرات بل مئات الالوف المسلمين طبق اهوائهم بدون ان يقدموا اقل خدمة نافعة لدافعها . وفي الجزائر لا اى لاي حق في جانب الاقليات . ان هذا امر قديرى بعين الغرابة ولكنه الحقيقة الواقعة فرئيس البلديات وجميع معاونيه ينتخبهم الفرنسيون فالمرکز الذي يحتوى على ٤٣ فرنسياً يكون بمجلس بلدية ١٦٥١ مسلماً كيف يشاءون ويحبون . فحالة هذا المركز البائس تسمه اذ اهل في رتبة الاسر . ومحاكم الصلح وادارة الضبط

والمدارس ومعاونة الطلبة والبريد والبرق (التلغراف) وصدى البرق (التلفون) والسكك الحديدية العمومية والخصوصية والآبار ومحلات الاسواق كل هذه المصالح يدفع المسلمون الضرائب اللازمة لادارتها بينما الاستعماريون هم الذين يتعمون بفوائدها فالوطنيون وهم المعطون الاموال ليس لهم اقل حق فيها فالجهة التي ليس بها سكان فرنسيون خالية مجردة من الطرق حتى ان بعض الجوامع الكبرى المعتبرة من انفس الآثار الاسلامية ليس لها من طرق منتظمة تؤدى اليها لانه لا يسكن حولها الا المسلمون وحدهم

اخذت جريدة الطان تسأل عن سبب وضع هذه التكاليف عن قوم ورفعها عن آخرين وقالت جواباً على ذلك انها قانعة بانه ليس لذلك من سبب معقول او حكمة الا الظلم والشدة والجور

وخلاصة القول ان المسلمين يجدون ويكدحون واليهود والنصارى يلتمهون ويزددون كأن العشرين مليوناً من الفرنكات التي تؤخذ من المسلمين زيادة عن غيرهم فدية دائمة على اسارى كما اخذت جريدة الطان تثبت وتؤيد ذلك بالامثال العديدة والارقام الكثيرة واني منعا لسأم وضجر القراء المسلمين اضرب صفحا عن ذكر هذه الارقام عددا عددا ولا اهتم في هذه المقالة بملاحظات الخصوصية لاني قد انفعل بسبب بعض الاحساسات المؤلمة فلا استطيع مجانبه الانفراط او التفريط فاليكم خلاصة فقرة كتبها اكثر الصحف الفرنسية اعتدالا مع انها كتبها بكل تؤدة وروية اكثر من المعتاد لها !!!

ان الانسان ليمتردد عند النظر في الحقائق التي ذكرتها هذه الجريدة ويتساءل هل مرتكبوها هم الفرنسيون الذين قاموا بشورتهم العظيمة سنة ١٧٨٩ واعلنوا حقوق البشر لاجل الحصول على كليات الحرية والعدالة والاخوة والمساواة المقدسة؟ وهل الفرنسيون الذين مدوا يد المعونة وبمشوا بلافايت وروشامبو لا تقاذوشدا زر الساعين في شمال امريكا لنيل حريتهم هم الفرنسيون العادون في المستعمرات على حقوق المسلمين الاولية؟ انى لا اكاد اعرف ولا يسعني الا ان اتردد في الحكم

طريق الوثام

لاهل الاسلام

الف الاستاذ الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي رسالة سماها (الجرح والتعديل) والموضوع الذي دار عليه البحث في هذه الرسالة هو ان العلماء والائمة السابقين الذين خالفوا مذهب اهل السنة في بعض المسائل المجتهد فيها ليسوا فسقة ولا ضالين . قال المؤلف ولا يحسن ان نسميهم مبتدعين ايضا اى اصحاب بدعة وانما ينبغي ان نسميهم مبدعين اى المنسوبين للبدعة . ومحصل ما اورده المؤلف في رايه انه استدل على ما ذهب اليه بدليلين دليل تقلي ودليل عقلي . اما الدليل التقلي فهو ان الامام البخاري ومسلم رضى الله عنهما روي في صحيحيهما احاديث عن بعض ائمتكم الائمة الذين خالفوا مذهب اهل السنة والجماعة في كثير من الآراء الاجتهادية فلو كان يصح اعتبارهم فسقة ضالين لما استجاز الامامان لانفسهما الرواية عنهما فكان الامامين يتولان ان مخالفينا في الرأى ليسوا فسقة ولا ضالين

واما الدليل العقلي فهو ان ائمة المعتزلة والتقدمية مثلا لم يخالفوا اهل السنة والجماعة بقصد الافساد في الدين والخروج عن هدى سيد المرسلين وانما هم خالفوهم لدليل ظهر لهم وفهم رسخ في نفوسهم بحيث اصبحوا يعتقدون ان مخالفتهم في رايهم هو الخطي في رايه المتنبك سواء السبيل في فهمه . ولو كان هؤلاء القوم يخالفون اهل السنة بسوء نية وقصد فتته لما كانوا تمسكوا باحكام الدين اشد تمسك ووقفوا على حدود الشريعة كل وقوف ناهيك ان المعتزلة يكفرون مرتكب الكبيرة فشارب الخمر عندهم كافر وشاهد الزور كافر وهكذا ومن يتشدد الى هذا الحد في التمسك بحبال الشريعة ينبغي ان ينصف ولا يوصم بالابتداع ولا النسق وحسبك ان عمر بن عبيد المعتزلي هو الذي قل فيه المنصور

(كلكم طالب صيد)

غير عمر بن عبيد

فهو يصح ان يوصف رجل مثل هذا خاف الله واتقى معصيته بالنسق والابتداع وانما المبتدع الفاسق هو الذي قامت القرائن ودلت الاحوال على انه يريد في مخالفته انتهاك حرمت وتقيم شهوات . هذا ملخص ماجاء في هذه الرسالة

الفريدة . ولعمري ان ما قاله هذا الفاضل هو الحق والافان المخالف في الرأى عن دليل واجتهاد وهو يعتقد انه مصيب في رايه واقف عند حد الشريعة في امر يعذر الشرع كما يعذر ذلك الذي لا يعرف ان نوعاً من الاشربة مثلاً محرماً فبقى يتناوله طول حياته فان هذا لا يصح ان يسمى فاسقاً او مرتكباً كبيرة في نظر الشريعة المطهرة لانه في عمله لم يقصد مخالفة ربه ولا انتهاك حرمة دينه . هذا ولقد كنت سمعت من المرحوم السيد جمال الدين الافغاني كلمة في هذا الموضوع يحسن ذكرها هنا . قال ان المناظرات الجدلية في المسائل الغامضة التي وقعت بين علماء الاسلام وائمتنا الاولين كان يقصدها في الغالب اظهار المقدرة في الاستنباط والبراءة في الاستدلال والمهارة في ابطال حجة الخصم بحجة اقوى منها فكان العالم اللوذي والفتنر الاممي يدقق نظره في حجة خصمه ودليله ثم يأتي له من دقيق النظر وقوى الحجة ما يبطل حجته ويسد عليه طريق استدلاله اظهاراً للمقدرة والتفوق في الفهم . فكان المناظر يقول في بعض الاحايين لمناظره ان قولك هذا يلزم منه القول بكذا وهو كفر في اعتبار الشرع فيرد عليه خصمه ويستبسط من قوله ما يستدعي كفره ايضاً مع ان كلا منهما في الحقيقة ليس بكافر ولا يعتقد ان خصمه كافر وانما الحجج الجدلية كان بعضها يكفر بعضها . ومن اسخف رأياً ممن يكفر اخاه المسلم الذي يصلي صلاته ويتوجه الى القبلة توجهه ويؤمن بالقرآن وبمحمد ايمانه يكفر بشيء يلزم من قوله لا بقوله الصريح نفسه فيجب على كل مسلم ان يتدبر ما رويناه عن السيد جمال الدين ويقرأ كتاب (الجرح والتعديل) الذي الفه الاستاذ القاسمي فان في ذلك فائدة عظيمة لنا معشر المسلمين تؤدي الى تأليف قلوبنا وجمع ما تشتت من اهوائنا ولا يقتصر نفع ذلك على الجماعة الدينية فقط بل هو مفيد لنا في قوة السياسة وثبات الدولة ايضاً فان من تدبر ما راصح ينظر الى اخوانه المخالفين له في مختلف الاقطار الاسلامية بعين الالفه والحب والوثام فتستحكم جامعتنا وتشتد صولتنا وتعلو كلمتنا فما احوجنا اليوم نحن المسلمين السنيين ان نتحد مع اخواننا الشيعيين في ايران والزيديين في اليمن والاباضيين في اطراف جزيرة العرب وفي المغرب (ولا تنس ابطال الاباضية المجاهدين في طرابلس الغرب) والوهايديين في جزيرة العرب والهند وغيرهم فانا كنا نؤمن بالله واحد ونبي واحد وقرآن واحد ونبوة واحدة فاذا اتسقت لنا كل هذه

واتحدت لانبأى بعدها ان تختلف آراء وتباين اوهام وتتصادم حجج . فان العبرة للتقصد والغرض والنية . وليست العبرة للالزام ولازم لازم في المناظرات الجدلية (البرهان)

سنة ١٨١٧ م الكوليرا

الكوليرا وتسمى ايضا بالهضة والوباء والهواء الاصفر والريح الاجر والنشوطه (في حرف العامة) هي مرض عفن فتاك يمتاز بالاسهال والقيء الشديدين وبما ان هذا المرض نسمي باسمه عند موسم كل حجاج تبعا لالاغيب ساسة اوربا المتعصين العاملين على ابطال فريضة الحج بكل الطرق الممكنة خوفا من اتحاد كل المسلمين باجتماعهم في صعيد واحد وبما ان هذا المرض قد عاود دار الخلافة مرتين في السنين الاخيرتين وانتشر بين الجنود العثمانية عقب مناورة ادرنه وابان الحرب البلقانية خصوصا عندما وصلت المنطقة الواقعة بين لوله بورغاز وجورلى وبما ان برد الشتاء القارس قد اوقف فتكهما مؤقتا اردت ان اسطر على صفحات الهداية الغراء بحثا علميا بين الحقائق للعالم ويمكن اخواننا الموحدين من وقاية انفسهم واهليهم من هجمات هذا المرض الفتال عندما يشتد هول المرض (لا قدر الله) بمحاربة الجو عقب انتهاء الشتاء فاقول وبالله التوفيق

الكوليرا الاسيويه هي مرض معد فتاك حار نك يمتاز باسهال شديد و يشغف في القوى مع آلام عضلية شديدة تبلغ الوفيات فيه نيفا وستين في المائه واكثر وفياته في الاطفال والشيخوخه الفانين و سبب هذا المرض وصول جراثيم مرضية (باسيل الضمة) الى امعاء الانسان والحيوان

تاريخه - اختلف المحققون في منشأ هذا الوباء وتاريخه فمن الناس من ادعى ان منشأ الدنيا الجديدة وان الفينقيين وجماعة العرب الذين اكتشفوا امريكا قبل الاسلام ذاهبين عن طريق اسيا وبورغاز بهرنج جلبوا هذا الداء الى اسيا مع البقية التي رجعت منهم وان وجود هذا الداء وفتكه الذريع كان السبب في عدم تجاسر احد على الذهاب الى امريكا

فتركت وحدها حتى تنوسيت تماما وجاء كولومبس فاعاد اكتشافها والقائلون بهذا الرأي قلائل جدا وليس هنالك ما يؤيد رأيهم الامشابهة بعض الاثار التي وجدت باواسط و جنوب امريكا للاثار الفينقيه والمصريه والعربيه الى درجة معينة ولوكان لهذا الرأي صحة فما هي الواسطه التي قطعت دابر جرائم الوباء حتى لم تلق جماعة كولومبس له اثرا مع اننا شاهدنا منذ بضع سنوات اسبانيا تنتشي في الكوليرا بين العملة الذين كانوا يحفرون مقبرة قديمة قرب الاسكوريال دفن بها بعض المصابين بالكوليرا قبل نيف ونصف قرن من الزمن ومن الناس من قال ان هذا المرض فتك قبل عدة آلاف من السنين بسكان ليبيا ولكن ليس لدينا من ادلة ماينفي او يثبت هذا الرأي الضعيف الذي اراد اصحابه ان يثبتوا به ان منشأ هذا الوباء افريقيه اما جميع المحققين فقد اقرروا على ان هذا المرض اسبوى تحت وذلك ينعتونه بالكوليرا الاسيويه بيد ان هنالك خلافا بشأن تاريخه فكتب الهندوس الدينية السنسكريتيه الموجوده من قبل الميلاد بعدة قرون قد وصفت اعراض مرض دماء بعض اطباهم فيشوجيا (اسهال قي) او نيرتيريا (مقص معوى) او الموت العاجل وهي لا تفرق عن اعراض الكوليرا الاسيويه خصوصا اذا لاحظنا ان المرض المذكور قد افنى زهاء الستين الف نسمة من سكان الصين وشرق اسيا في سنتين وهذا يبين ان هذا الداء قديم جدا اما جماعة اطباء الغرب وعلى رأسهم الاستاذ كوخ فيرون ان هذا المرض قد لايفتك الا داخل دائرة ضيقة ولكنه لم تشتد فتكاته ولا قوى على الغارة وتهديد الممالك الاجنبية الا منذ عام ١٨١٧ فقط واهم غاراته على العالم خمس الاولى سنة ١٨٢٦ وهي بقايا انتشار الوباء من جنوب بنغال سنة ١٨١٧ واكتساحه عموم الهند ومن ثم انتقل في سنة ١٨٢٦ الى شواطئ افريقية الشرقية وعموم اوربا وامريكا ومدة هذه الغارة انتهت في شتاء سنة ١٨٣٨ والثانية في سنة ١٨٤١ وقد اكتسحت جميع ممالك العالم تقريبا واستمرت في عنفوانها حتى اواخر سنة ١٨٦٠ والثالثة بدأت في سنة ١٨٦٣ وقد عمت اسيا وروسيا والولايات المتحدة الامريكية وانتهت في سنة ١٨٧٥ والرابعة بدأت في سنة ١٨٨٣ وقد عمت اغلب ممالك اسيا واوربا وامريكا وبعض جهات شمال افريقيا والخاصه بدأت في اسبانيا سنة ١٨٨٥ ومنهاسرت الى جنوب امريكا وما زالت حتى اواخر سنة ١٨٨٦ وكنت شتاء السنة المذكورة ثم عاودت اسبانيا وجنوب ايطاليا في سنة ١٨٨٧ بل بقيت آثارها حتى اواخر سنة ١٨٩٠

اسباب المرض — كان القدماء يعتقدون ان الكوليرا سببها ضرب من الجن ولا تزال العامة وخصوصا بمصر يعتقدون ان اولئك الجن سبعة يسمونهم (ضرايين الكوبه) بينهم سيدتان وشيخ يحامو. عمن يريد الاخرون هلاكة ففي بعض الاحيان يحاولون قبل ان يتمكن المفسدون من ضربه كثيرا فيشفي ولطالما سمعت بعض المرضى يصفون الجميع لى كاصوره الوهم لهم. كان اطباء الهند يعتقدون ان المرض يتبع طرق سير القوافل في انتشاره وجاء سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم فنصح اتباعه بعدم دخول بلد موبوء او الخروج منه دالا بذلك على ان الوباء معد شديد السرعان وكان بعض القدماء يعتقد انتقاله بالهواء والملازمة الخ ولكن السبب الحقيقي بقي في حيز الخفاء حتى اتى العالم الالماني الكبير كوخ خادما الانسانية ان يكتشف جرثومة المرض سنة ١٨٨٤ وما هي الا عبارة عن باسيل الضمة وهو مخلوق سفلى اصغر من باسيل السل بدثيره انشاء خفيف يجعله يشبه الضمة رفيع الطرفين به ضخامة خفيفه بوسطه يوجد عادة في غائط المريض وقتلما يوجد في قيئه يعيش في الوسط العلوى وفي قصير الحجم واللبن الحليب والبطاطس وبقية الخضروات والملابس المبلولة والارض الرطبة وخير وسط في الحرارة يوافق نموه ما كان بين درجتى ٣٠ — ٤٠ ستغراد بيد انه قد يبقى حيا حتى لو وجد في درجة ١٠ تحت الصفر ويهلكه البرد اذا وصل الى درجة ١٦ تحت الصفر والماء الغالى يبيده لوقته وكذلك الحوامض وخصوصا المعدنية منها وبالاخص حامض قلو الما (هيدروكلوريك)

اكتشف كوخ هذا الحيوان السفلى الذى لا يمكن رؤياه الا بالنظاره المعظمة وقرر انه سبب المرض الوحيد بعد ان قام بعدة تجارب على الحيوان وعدة مشاهدات فنية نفذه على الناس مثبتا ان هذا الداء لا يغذى الامن طريق الجهاز الهضمى وحده ولذا يمكن وصفه بانه انتان معوى سببه تلك الجراثيم التى منشأها براز احد المرضى فصدقه الكثيرون من العلماء وشكرته الانسانية بيد ان بعض الاطباء لم يصدقوه ولقبح نفسه بباسيل الضمة او ازدراد بعضها ليثبت كذب دعوى كوخ فهلك بالكوليرا ومن اولئك انهم ربح واستاذه ينتقون الذى نجا من المرض بسبب قوة جسمه وصغر الكمية التى ابتلعها من الجراثيم وللعلماء اجاث وتجارب عديدة كلها اثبتت صحة دعوى كوخ وصدق اكتشافه الذى قضى على خرافات القدماء وبين للناس طرق الخلاص من هذا الوباء الفتاك حتى بات العلامة

ميتشيكوف يسميها بالوباء الوهمى اذ يكفى للسخرية به والتحصن من غوائله ان يعمل بقاعدة حصن فلك ضد جراثيمه تامين تماما

اقسام المرض وسيره — الكوليرا نوعان رطب وجاف والاول هو نوع الكوليرا الاسيوية الحقيقية المعتاد وجوده بنسبة واحد الى عشرة آلاف من النوع العادى واذا شئنا الحقيقة العلمية نقرر ان النوع الجاف هو نوع من الرطب شديد التلك ثقل الوطأة يقتل المصاب قبلما تجد امعاؤه المغلوجة وقتنا لا فرازا ما بها من المواد المائية القوام وهناك نوع آخر يعرف بالكوليرا البلدية يصاب به الاطفال وبعض اصحاب الاجهزة الهضمية الرقيقة الذين يتناولون اغذية عمرة الهضم ولكن خطر هذا النوع وعدم وجود باسيل الضمه وعدم جدواها مجعها خارج دائرة موضوعنا وبما ان الكوليرا الجافة نادرة جدا ويتميز على غير الطبيب الحاذق تشخيصها فنضرب عنها صنحا ونشكلم على سير المرض المعتاد

تظهر الكوليرا الاسيوية الرطبة في ثلاث صور (١) اسهال الكوليرا (٢) الكوليرا الخفيف (٣) الحقيقية والسبب في هذه المظاهر المختلفة يتوقف على مقدار قوته مقاومة الجسم وكمية الجراثيم التى اقتحمت المعدة واصالة الى الامعاء الرقيقة اما اعراض المظهر الاول فلا تمتاز بشئ خاص بل كل ما يحدث ان يصاب المريض باسهال غير مصحوب بمغص كيون لون المواد البرازية اصفر كالمادى بيد انها تعدم هذا اللون اذا ما اشتد الاسهال وازداد عدد تبرزه وبلغ الاثنى عشر مره في اليوم فيشتد ظمأ المصاب وتخور قواه ويفقد شهيته وتسمع اصوات حركات امعاء شديدة واذا انخفض صوته شعربا لام عضلية شديدة في ساقيه تكون هذه الاعراض بوادر الخطر وفي الغالب ترى المريض وقد تغلب على الجرثيم فيأخذ باسباب العافية فينقص عدد تبرزه ويغلب قوام غائظه وتعاوده قواد تدريجيا حتى يسترجع حالته الطبيعية بيد ان البعض بدل ان يأخذ باسباب العافية يتقلب نوع اسهاله الى شكل الكوليرا الحقيقي فهلك ومهما كانت النتيجة يلزمنا ان ننبه القارئ الى ان المواد البرازية هنا معدية كما هي في بقية الانواع فيلزم التحوط منها ولا يغرننا استمرار الاسهال اسبوعا فينسنا خطره وحقيقة شره

اما اعراض المظهر الثانى (الكوليرا الخفيفه) فتفرق عن المظهر الاول بكل سهولة اذ فيه يبدأ الاسهال مصحوبا بالقيء الشديد ويكون عدد المتبرزات كثيرا ولذلك سرعان ما يتعدم لون الميزاد البرازية الاصفر وتصبح لا لون لها بل وفي

بعض الاحيان تصير في شكل ساء الارز ان القى في بادئ امره يكون عبارة عن اكل المريض ثم ينقلب الى سائل مصبوغ بالمواد الصفراء ثم يميل الى الخضرة ثم يصبح كالماء ويشاهد في المريض الظما الشديد والضعف العظيم وتغور العينان وتبرز نتوءات عظام الوجه ويخفض الصوت ويخف الفم حتى يلتصق اللسان بخلق الفم ويتألم المريض من اوجاع عضلية في الساقين شديدة وتصبح حساسة حفرة المدة شديدة حتى ان مجرد مسها يؤلم المريض اما البول فتليل جدا بل قد ينعدم تماما في بعض الاحيان وقد يوجد به بعض الزلال ويرد الجلد ويزداد عدد النبض غالبا وفي النادر يتناقص العدد. هذه هي اعراض المرض المذكور وفي غالب الاحيان يبدأ الجسم بالتفاعل او تعاوده العافية تدريجيا حتى يتم شفائه وقلما انقلب المرض الى دور الكوليرا الحارقة (احد ادوار النوع الثالث) او مات المصاب بسبب انتهاك قواه الجسمية تماما. اما اعراض المظهر الثالث (الكوليرا الحقيقية) فمن السهل تمييزها عن النوعين السابقين لان لها علائم معينة ظاهرة لا تخفى على احد فالقى المصاحب بالاسهال يكون شديدا وسرعا ما تأخذ المواد البرازية شكلها الخاص بها فتصبح كماء غسيل الارز او كالشوربا ذات التربة (المطبوخة بال دقيق) ولا يبقى فيها من لون الغائط الطبيعي اورا حتمه من اثر بل تصبح رائحتها اقرب الاشياء من رائحة المني او الاجسام المتفسخة ويتبرز المصاب كل عشر دقائق وفي كل دفعة بقذف حو الى النصف من هذا السائل البالغ ثقله النوعى ١٠٠٦ — ١٠١٢ والذي لا يحوى من المواد العضوية الا الاثر الخفيف بينما هو مشبع بالاملاح الغير العضوية عدا املاح البوتاسيوم التي تكون معدومة بالمرّة ويشاهد في هذا السائل اجسام سنجابية بشكل الارز وما هي الا بعض حجر الغشاء المخاطي المبطن للاحشاء وبها توجد الجراثيم بكثرة تفاعل هذا السائل

اما القى فيكون شديدا وياخذ شكل السائل السابق بيد انه لا يحتوى على الجراثيم اللهم الا اذا بلغ من الشدة درجة قذف محتويات الامعاء المدة فقط ومن جراء هذا القى يبلغ الظما من المصاب درجة تجفيف فيه ولهاته بحيث تجعله يتلهف على شرب الماء الذي لا يسوغه حتى يقذفه قيئا في اقرب حين وبقى يوميا ثلاثين ليتر اما الاوجاع العضلية فتبدأ مع القى او قبله بقليل وتكون في الساقين ثم بالعصدين والساعدين ثم ببقية عضلات الجسم وتكون في اول الامر

منقطعة بيدانها تشتد تدريجيا وتقرب نوياتها حتى تصير كل دقيقتين مرة فتجعل اقوى الرجال يجاهر بالشكوى من آلامها القاطمة ولكنها تنتهى عندما يدخل الرجل الدور الجليدى او عندما يبداء دور التفاعل لاسترجاع الشفاء ومن الغريب انها تزول فجأة

اما بقية الاعراض فهي (١) صوت المريض يأخذ في الانخفاض حتى ينقطع او يبقى عبارة عن همس خفيف بيدانه قبيل الموت اوفى دور التفاعل يعود فيرتفع (٢) الادوار يتناقص تدريجيا وقد ينعدم تماما بسبب فقد المريض المقادير العظيمة من الماء بواسطة القى والاسهال واذا ما حلل وجد به بعض المقادير من السكر والزلال و خلاصة النيلة و اذا انقطع تماما اكثر من ثلاثة ايام يكون اندارا بالخطر اذ يقضى المريض نحبه مسمما باملاح البول اما اذا عاد بعد احساسه فيكون بمقادير قليلة (٢٠٠ — ٤٠٠ جرام) ثم يزداد تدريجيا وظهوره فالخير بالنسبة لحياة المريض (٣) النبض يزداد حتى يبلغ المائة او المائة والعشرين بيد انه لا يلبث ان يتناقص حتى لا يشعر به الانسان في الرسع و تنعدم ضربات القلب ويسمع زفير احتكاك عنددورة القلب وما ذلك الا بسبب الجفاف الطارئ غلى العضلات من جراء فقدان الماء العطشي لتركيبها (٤) التنفس يصبح قصيرا و سطحيا و قرب احتضار المريض نرى تركيب هواء الزفير مثل هواء الشهيق اذ لا تفاعل في الرئة بسبب التغير الطارئ على الدم (٥) الحرارة تسقط عن الدرجة الطبيعية درجتين او ثلاث درجات سنتراد مع ان المريض يشعر بنيران في جوفه يمكن تعيين مقدارها بوضع الترمومتر في مستقيم مدة عشر دقائق بينا جلده وخصوصا جلد وجهه يكون باردا كالمثلج وقد يغطي بطبقة من العرق البارد وتسمى هذه الحالة بالدور الجليدى ومدته يومان بيد ان اغلب المرضى يهلكون فيه بعد ساعتين او اربعة (٦) جلد المصاب يهت اولا ويفقد ليونته الطبيعية ويبين للناظر كانه اوسع من جسم المريض بكثير ويكسب رخاوة عجيبة حتى ان الانسان اذا مسه بظن انه جلد ميت واذا قرص قطعة منه بقيت ملتصقة ببعضها ولم ترجع الى وضعها الطبيعي حتى تغيرها انت ثم ان لونه يميل الى الزرقة القائمة ثم يأخذ لون الرصاص والدم الوريدي المشع بغاز حامض الكاربونيك الى درجة عظيمة ويبقى هذا حتى بعد الوفاة كما ان الحرارة التي ترتفع قبل الموت بقليل تبقى زمنا غير قليل (٧) وجه المصاب

يدل على مقدار خطورة المرض بسخنته الخاصة. عيون غائرة عظام الخد البارزة لون باهت سنجابي اجفان غير منطبقة تماما (٨) عينا المريض تضمض شحمتها فتغوران وتميل صدقيهما الى الصفرة والعمامة وقد تبد وجهها بعض بقع سوداء اما القرنية فتعدم لمعائها ويحدث بها بعض قرح واذا فحص قاع العين بالنظار (اوفثالموسكوب) يرى لونه باهتا خلوا من اى دم واشتداد صفرة الصدفية وعدم احساسية انسان العين انذارى (٩) احساس المريض في جلده يفقد حتى انه لا يتأثر من ورق الخردل او الحرقا اما قواه العقلية فتبقى حتى آخر رمة بيد ان الكبير يصاب بهذيان بينا المعتوه او من به مس في عقله ترجع قواه العقلية اثناء المرض حتى الموت (١٠) بطن المريض تكون غائرة نوعا ما اذا لمسها الانسان وجدها في قوام العجين بيدان مجرد مسها خفيفا قد يسبب تبرز المريض مرة او اكثر وهى خالية من المغص بيد ان القى الذى يخرج من فم المريض بكل راحة وبدون عظيم مجهود قد يسبب آلاما فى دائرة المعدة (١١) قوة امتصاص المعدة والامعاء تفقد بينا امتصاص الجسم للاشياء من تحت الجلد تصبح بطيئة جدا بيدانها لا تفقد تماما (١٢) قد يحدث نخر فى الاعضاء التناسلية خصوصا فى المرأة اوفى الاعضاء فيسبب نزقا هذه علامة خطيرة جدا تشعر بقرب هلاك المصاب

مما تقدم يرى الفارى ان دور الكوليرا الخائفة (عندما يفقد النبض) والدور الجليدى ودور النخر وهو غير دائمى هى اخطر الادوار والمصاب عادة يقضى نحبه او يبدأ دور التفاعل والشفاء التدريجى فنقطع الالام العضلية فجأة ويعود النبض والبول وتكسب المواد البرازية قواما غليظا ولونا اصفر بالتدريج حتى يعود المصاب الى حالته الطبيعية بعد اسبوع او اسبوعين هذا ان لم يصب بنكسه او ينقلب مرضه الى الشكل التيفودى فيرحل من هذه الدنيا بعد ان كان الامل قد تجدد فى بقاءه

استئصال الجنين

مصاحبة النساء للجيش الحاربة

(سؤال) ماذا تقولون فى خروج النساء مصاحبات للجيش لمعالجة مرضاهم

وعصب جروحهم وتخفيف آلامهم. وهل ورد فى السنة النبوية او امتسارخ القديم ما يدل على وقوع ذلك على عهد الرسول عليه السلام ؟ (الجواب) ان خروج النساء الى ميادين القتال مع الجنود كان معروفا فى العرب قبل الاسلام وبعده . وقد اذن فى ذلك رسول الله بل رغب فيه فيه فن ذلك ما رواه الطبري فى تاريخه (١) ان محمدا بن عمر ذكر ان عبد الله بن ابي يحيى حدثه عن ثبينة بنت حنظلة الاسلمية عن امها ام سنان الاسلمية قالت لما اراد رسول الله الخروج الى خيبر جثته فقلت يا رسول الله اخرج معك فى وجهك هذا اخرز السقاء وادوى المرضى والجرحى ان كانت جراح والالتكن فانى انصر الرجل فقال صلى الله عليه وسلم اخرجى على بركة الله تعالى فان لك صواب كلتنى فاذا نلت لهن من قومك ومن غيرهم فان شئت فمع قومك وان شئت فعنا قالت معك قال فكونى مع ام سامة زوجتى قالت فكننت معها .

حكم اكل الفسيخ

(سؤال) سمعنا بعض العلماء يفتى بتحريم اكل الفسيخ (٢) وسألنا آخرين فقال لا تحريم . فاهو الحكم الشرعى فى ذلك مشفوعا ببيان الادلة وهل اتفقت الائمة الاربعة على رأى فى هذا الموضوع ؟ (٣) (الجواب) لم يكن الائمة الاربعة عليهم رضوان الله يعرفون الفسيخ فالمسألة اذا من المسائل الاجتهادية .

ولقد كنا نسمع بعض الشيوخ يرون تحريم اكل الفسيخ لان لحمه يختلط بالدم خلال صناعته ويرون ان هذا الدم مسفوح والدم المسفوح محرم بنص كتاب الله تعالى اذ يقول (قل لا جدفيا وحي الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا الا به فذلك الفريق من الشيوخ لا يبيحون من الفسيخ سوى الطبقة العليا . والذى نراه انهم مخطئون جدا خطأ وواهمون فى فهم معنى الدم المسفوح . واذا عرفنا ان الدم المسفوح هو السائل الجارى المصبوب علمنا ان الدم الذى يسيل من جسم السمك خلال صناعته بالماء ليس من الدم المسفوح كما ان الدم الذى يخرج من اللحم المشوى ليس بمسفوح ولا يحرم اكله مع اللحم المختلط به .

(١) جزء ١٣ صفحة ٨٥ (٢) الفسيخ سمك يملحه المصريون ويكون خلال القليح طبقات متراكمة .

(٣) البائل مشترك من ابى كبير بمصر .

وقد حكى القرطبي الاجماع على انه ليس من الدم المسفوح مايبقى في الفروق بعد الذبح ولا مايتلطخ به اللحم من الدم . فتحريم الفسيخ انما هو غلو واعتساف في الدين الذي جعله الله يسرا وامرنا ان نغفل فيه برفق .

نتائج القول بقديم الارواح

توصل الفلاسفة ومن خاصتهم اليونان والعرب فكان من الاولين سقراط وافلاطون وارسطو ومن تابعهم حجة الاسلام الغزالي فخر الدين الرازي وابن رشد وابن مسكويه وابي نصر الفارابي وغيرهم عامة وهؤلاء اعتقدوا بوجود اله ازلي ابدى واجب الوجود بذاته خالق المادة وكونها وصورها ونظامها ، على ان هذا الاعتقاد لم يخل من اراد كلمة الروح . وانها بسيطة ابدية لا تقبل التغير ولا النهاية له ولا لانهية له لا بداية له مع ان اعتقادهم بالله كان اعتقادا مقرونا بوحداية في ازلية فكون الروح ابدية يوجب انها ازلية ويترتب على ذلك كونها مشتركة مع في الازلية ومن هنا تتسرب اليها فكرة هي منشأ البحث ..

اذا كانت الروح ابدية كما يعتقد عامة الفلاسفة المشتغلين بماء وراء الطبيعة فذلك يقود الى انه اما ان تكون الروح قسما من الله (سبحانه وتعالى) — واما ان لا تكون ، فاذا كان الاول فذلك يوجب لله القسمة والتركيب والتبعيض والامتزاج بالماديات وهذا محال لانه تعالى بسيط لا يقبل شيئا من ذلك ، وان كان الثاني فقد جعلنا شركاء في ازلية وابديته وربما يكون في صفاته ايضا قارا يكم في ذلك لتهدى الى الحقيقة ولما كان قصدنا الوقوف عليها مهما كان حالها آثرنا ان لا نرجع بانفسنا الى ظلمات المنطق بل الى مجرد البراهين والقياسات الصحيحة مع ايراد براهين عقلية صرفة قديمة او حديثة لان البراهين المأخوذة عن الكتب السماوية معروفة متداولة .

نرجو ان تحيينا بمآثره في ذلك والسلام

يظهر ان اصحاب هذا السؤال لم يعتمدوا فيما سردوه من الاقوال وماعزوه الى اولئك الفلاسفة على رواية صحيحة وسند ثابت فان ارسطو مثلا لم يعرف عنه القول بقديم الروح بل المروى عنه العكس بنقيض ذلك وهو الحدوث وكذلك لم يعرف عن الرازي فيما نعلم شيء في امر الروح . اللهم الا ما يرويه هو عن غيره من الشكوك والاقوال

و اذا اراد السائلون ان يعرفوا شيئا عن الروح من طريق العقل فقط كما جاء في سؤالهم فاننا نخبرهم انه لم يوفق احد من الباحثين في اسرها الى معرفة حقيقتها فمن قائل انها الدم ومن قائل انها النظام الذي اذا اختل زالت به حياة الاجسام ومن قائل انها جواهر ليست مادية تتعلق بالجسم تعلق العاشق بالمعشوق (كما يقولون) ولكل من هؤلاء ادلة مسرودة لم تبلغ لتدبرها مبالغ اليقين وقد نفرد بها يوما ما بكلمة وافيه . بيد انه لا بد لنا من تزويد السائل هنا بكلمة عاجلة في التيقن الاخير من سؤاله ذلك انه على فرض صحة القول بقديم الروح فانه لا يلزم من ذلك ان تكون جزءا من الله تعالى بل يجوز عند الفلاسفة ان تكون قديمة ومستقلة بوجودها والذين يجوزون قدم المادة وقدم الانفس الفلكية وبعض الاجرام العلوية لا يسألون ان يكون هناك كائنات قديمة غير الله تعالى فان ذلك لا حرج عليهم في اعتقاده بعد اذ يرون ان الله تعالى علة العلل فكل كائن سواء متوقف في وجوده عليه ولو كان ازليا ولا بد ان يكون السائلون قد قرأوا في كتب الفلاسفة ان القديم ينقسم الى قسمين قديم بالذات وهو الله وحده وقديم بالزمان وهو كل قديم عندهم يكون ممكنا بذاته متوقفا في وجوده على غيره ولذلك عندهم امثال كثيرة .

واننا ننصح لأؤلئك الباحثين بوجوب الاقتلاع عن الخوض في كتب الاقدمين فانها تقدمت في غالب اجرائها على الاوهام والظنون والفروض الاصطلاحية وحسبهم ان ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء . ولعلهم اني لا اريد بذلك الحجب على عقولهم حتى لا تخوض في المسائل العويصة ، وانما اريد ان ابين لهم ان اكثر ما وضع في الفلسفة قديما انما هو ظنون وتخبطات وان كان من بينها ما هو جدير بالتدبر والعلم ومتى باغتنا في تفسير القرآن مقاما يشاكل هذه المقامات فاننا سنوفيه حقه ان شاء الله في ذلك .

تفسير آية

(سؤال) ما المراد بالنفس الواحدة وكيف جعل الله منها زوجها في قوله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها . الآية) ؟ وهل حق ما يقال من ان هذه الآية الكريمة دالة على ان حواء خلقت من ضلع آدم ؟ (الجواب) يخطئ من يرى ان النفس الواحدة هي آدم وان زوجته هي حواء فان حواء وادم لم يشركا بالله احدا . والذي عليه ابو مسلم الاصفهاني ويدل عليه سبب نزول هذه الآية ان المراد بالنفس الواحدة قصي . وقد جعل الله زوجه عريسة من جنس قصي لامن قبيلة اخرى فلمسا اتلها

الله ماشاء من الولد الصالح نسيا ما عاهد الله عليه من ان يكون له شاكرين
ويعظماء منته ذاكرين فسميا اولادها الاربعة عبد مناف وعبد العزى وعبد الدار
وعبد قصي مشركين بالله غيره في تسمية اولادهم اذ جعلوهم عبيد الغير خالقهم .
وفي هذا تنبيه على ان من صنوف التسمية المقوتة وان لم تكن في نظر
الشريعة كفرا تسمية المسلمين اولادهم عبد الرسول وعبد السيد وعبد النبي ونحوها
فيجب على من اسمه شيء من ذلك ان يجعل بتغييره .

حكمة تسليط الشيطان على الانسان

(سؤال) لما ذا خلق الله الشيطان وسلطه على الانسان ؟ فان كان ذلك
لامتحانهم فقد ارى رجلا لتحكم شهواته وهواه عليه وغلبة غريزته يفتقر مانهاء
الشارع من الخطيئات وآخر لكمال حصانه وسلامة فطرته يفعل الحسنات ويحجب
السيئات فهل للاول من عذر اذا لم يمنحه من الغرائز السليمة والمزايا السامية
التي تزعه عن مسالك البنى والعناد وكيف يجرى الامتحان بين اناس هم متباينو
الجيالة والاستعداد ؟ [١]

(الجواب) التحقيق ان الله تعالى يخلق خلقه لحكم فيها ومزايا مختصة بها .
فليس الله بخالق حشراته وطيوره واسماكه وجنه لاجل الانسان ولا لسلطتها
على الانسان . وانما خلقها وقدر اجزاءها لمعان وحكم في انفسها . ويدل على
ان الله لم يسلط الشيطان على بنى آدم قوله تعالى خطابا لابليس (اخرج منها مذموما
مدحورا لمن تبعك منهم لا ملأئ - بهن منك ومن تبعك منهم اجمعين) .

فهل يفيد ذلك ان الله تعالى يسلط الشياطين على الانسان . وان شئت
ادلة اخرى من آيات الله فتلك قوله تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
الامن اتبعك من الغاوين) وقوله (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى
رهبهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وقوله (ان
عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيل)

اما ما ذكرتم من ان من الناس من غلبت عليهم شقوتهم فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا وان منهم من سلمت فطرته ولم تغلبه شهوته فعمل الصالحات واجتنب
السيئات فان هذا مبحث آخر لاعلاقة له بالشياطين ولا بالمساواة بين متباينى الطباع
والغرائز في الامتحان والابتلاء .

وخلاصة القول في ذلك ان الله تعالى خلق الانسان وقدره ثم السبيل يسره

ومعنى تيسير السبيل للانسان انه تعالى قبل ان يكلف الان منحه من القوى
العقلية والقوى النفسية والجوارح مالا يجوز التكليف الابيه (لا يكلف الله نفسا
الا ما آتاها) و (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

فمناط التكليف في الانسان تحقق تلك الشرائط العقلية والنفسية والبدنية
فاذا اختل نظام واحد من تلك الاقسام فان ذلك يسقط التكليف بقدره .

ولما كان من اركان التكليف بيان المحاذير والمنافع وشرح العقوبات والمكافاة
اذ هي التي ترع النفوس عن اجتراح السيئات وتدفعها الى كسب الحسنات
وصالحات الاعمال رفع الله التكليف عن عباده الابدع البالغ المين فقال (وما كنا
معمدين حتى نبعث رسولا) ذلك ان البالغ المين الذي لالبس معه ولا بهام
ولا تشكيك يحمل النفس على اليقين بما يقوله المبلغ من الوعود والاياعات وما
يضعه من الحسنات والسيئات . وقد اثبت المشاهدات انه متى رسخت العقيدة
في نفس صاحبها ظهرت آثارها على الجوارح وكما تزعزعت العقيدة من النفس
او زالت اقبل الانسان اذ ذاك على المحارم يرتكبها دون تخرج ولا خوف .

ومن الناس من يحمله حسن الظن بالله تعالى وفرط رجائه في مغفرته على
الايغال في معاصيه جهلا منه بانه تعالى لا يوجد برحمته على من يجاهر بمعاصيه
ويتماد محاربه بمخالفة اوامره .

وهناك قسم من الناس يسهل عليه ارتكاب الفاحشة غفلته عن الله تعالى
فان الغفلة عنه تعالى من اعظم ذرائع الكبائر والفواحش من القول والعمل .
وقد يكثر الانسان من مخالطة الخاطئين فيستخف اول الامر بملاقاتهم
ومجالستهم ثم لا يزال يستدرجه بحالسه وسهارة حتى ليلجئ الباب الذي ولجوه فاذا
ما فعل ذلك لأول مرة هونت على نفسه تلك الفعلة ما بعدها .

فانت ترى من جميع ما اسلفنا ان اكثر الخطايا لم يكن الباعث عليها خطأ
في اصل الفطرة او نقصا في نظام الخلقه وانما هو تقصير الانسان وتعطيله مواهب
ربه او غفلته عن مصدر الجلال والعظمة ومالك النواصي في الدنيا والآخرة
او يكون منشأه وهن العقيدة والتشكك في انباء الكتب المقدسه وعدم الجزم بوعودها
واياعاتها .

اما اذا كان مبعث الخطايا عدم توفر شرائط التكليف كما هو الشأن في الابله
والمعتوه والمجنون والنائم واشباههم فان الله احكم واولى ان يرفع عن عباده
اؤلئك تكليفه واحكامه . فاذا تفاوت الناس في استعدادهم ومواهبهم كان الله
حقيقا الايسوى بينهم في التكليف .

ومن ذلك ما علمه السائل (فيما . نرجو) من ان طلاق المفلق لا يقع شرعا . ومعلوم ان المفلق هو الذي هاجت اعصابه لغضب حتى جعل لا يكاد يميز ما يقول فأصحاب الامزجة العصبية الذين لا يملكون انفسهم ساعة الغضب لا يؤاخذهم الله الحديث وامور الدنيا

بما ياتون في غضبهم من القول او الفعل .

(سؤال) لقد علمنا ان من راىكم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤخذ بقوله في مثل مسائل الطب والاخبار التي ترجع امورها الى مصالح البشر ومنافعهم وهذا غير ظاهر لي لامور .

(١) قوله صلى الله عليه وسلم اذا وقع الذباب في شراب احكمم فليغمسه كله فان في احد جناحيه داء وفي الآخر شفاء فان ذلك مما لا يدرك بمجرد العقل والتجربة .

(٢) ما قاله ابن القيم في زاد المعاد ان نسبة طبه عليه السلام الى طب سائر الاطباء كنسبة طهم الى طب المعجزة .

(٣) ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخترق السماء ليلة المعراج كما صرحوا به مما بلغ حد التواتر وبفرض عدم صحة الاحاديث يجب الجزم بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئا في امور الملكوت الا بوحى فانه لم يعرف انه اشتغل بعلم الطب او الفلك (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا)

اما مسألة تأييد النخل ففي بعض رواياتنا لعلكم لو تركتموها لصلحت .

الجواب — ان الرسول في حديث تأييد النخل يقول اتم اعلم بامور دنياكم وليس في اخبار الانبياء بالظنيات من خرج عليهم الا ما كان من احكام العبادات والمعاملات والشرائع وامور الآخرة ووعودها واعدائها وهذا هو معنى قوله ولكن اذا حدثتكم بشيء عن الله فخذوا به وخطأ الرسول في الامور الدنيوية بل وفي بعض الاحكام الاجتهادية ليس فيه من باس ولا ينافي العصمة (ياها النبي لم تحرم ما احل الله لك فتبني مرضاة ازواجك)

وما قاله ابن القيم في زاد المعاد خطأ وكذلك ما استنبطه السائل من حديث الذباب ان جهل الانبياء بشؤون الدنيا والاقضية الفنية قد يكون ابلغ في الدلالة على نبوتهم (راجع الجزء الثالث من الهداية)

فصمة الرسل الواجبة انما هي فيما يبلغون عن الله من الاحكام على وجهها (ياها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)

يستند السائل على احاديث الاسراء ويقول انها بلغت مبلغ التواتر فتقلب يقينية ونحن نقول لودرس السائل ماورد في كتب التفسير كابن كثير والطبري وغيرها لعلم ان تلك الاحاديث على كثرة اسانيدھا متضاربة وان انس بن مالك يقول ان الاسراء كان قبل ان يوحى الى الرسول عليه السلام وان الرؤيا كانت قلبية لا بصرية وقالت بذلك عائشة وحديفة

واما صحة ماورد من تلك الاحاديث فاننا سنفرده بابا خاصا في المستقبل القريب الا اننا نسلف للسائل هنا ان اكثر تلك الاحاديث لم يقطع بصحتها واذا وقع القطع بصحة بعضها او بصحتها جميعا فان قطعية صحتها باعتبار سندھا لا تدل على تجاوز معانيها ومضامينها حد الظن الذي لا يستطيع ان يعارض قطعية المعقولات العلمية والمشهودات البصرية

وقد استشهد السائل بحديث الذباب المذكور الذي رواه البخاري وابن ماجه وصححه غيرهما ونحن نقول للسائل لعل هذا من الامور المظنونة التي كان يجري بها علم طائفة من الناس قلقاها صلى الله عليه وسلم وبلغها فظهر ما يناقضها بعد لا يقدح في بعثه المصطفى ولا في رسالته فان هذا ليس من مشمولات ما تجب على الانبياء العصمة فيه (راجع الاسلام دين الفطرة)

فرسولنا صلى الله عليه وسلم وهو الرسول الفطري الذي جاء بالبينات والهدى من ربه ليخرج الناس من الظلمات الى النور لا يشينه ان يكون غير عالم بامور الدنيا بل ان ذلك ابلغ واقوى في الدلالة على رسالته صلى الله عليه وسلم

ويحمل بنا ان تقتبس ما كتبه ابن القيم في كتاب مفتاح دار السعادة فانه يؤيد ما قلناه سابقا ويطابق الفطرة قال في صفحته ٢٨٢ من النسخة المطبوعة في مصر وقد سلك بعضهم مسلكا آخر فقال ما يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم نوعان احدهما ما يخبر به عن الوحي فهذا خبر مطابق لمخبره من جميع الوجوه ذهنا وخارجا وهو الخبر المعصوم . والثاني ما يخبر به عن ظنه من امور الدنيا التي هم اعلم بها منه فهذا ليس في رتبة النوع الاول ولا تثبت له احكامه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم عن نفسه الكريمة بذلك تفريقا بين النوعين فانه لما سمع اصواتهم في النخل يؤثرونها وهو التلويح قال ما هذا فأخبروه بانهم يلقيحونها فقال ما ارى لو تركتموه يضيء شيئا فتركوه فجاء شيئا فقال انما اخبرتكم عن ظني وانتم اعلم بامور دنياكم والحديث صحيح مشهور وهو من ادلة نبوته واعلامها وكيف لا وقد خفي عليه مثل هذا من امر الدنيا وما أجرى الله به عادته فيها ثم جاء من المعلوم التي لا يمكن البشر ان يطلع عليها البتة الابوحى من الله فأخبر عما كان وما يكون وما هو كائن من لدن

الفصل الثاني

في بيان تقسيمات وتشكيلات الجمعية

(٥) مركز الجمعية العمومي في الاستانة ولها شعبات مركزية في الولايات والالوية المستقلة وشعبات في الالوية والاقضية وتشكيل هذه الشعب الاخيرة يكون بنسبة تقسيمات شعب البدية في الاستانة وملحقات الاستانة اما شعبات الاقضية فترتبط بالالوية والولاية مرتبطة بالولايات والولايات بالمركز العمومي .

٦٩ ان جمعية المدافعة المالية لا أجل ان تصل الى غاياتها راعت تقسيم المساعي في معاملاتها لذلك قسمت تشكيلاتها في المركز العمومي وفي الاقاليم الاخرى الى هيئات متعددة عينت لكل منها وظائف خصوصية وهامى الهيئات المذكورة

(هيئة المالية)، (هيئة الوعظ) (هيئة التربية البدنية والعسكرية)، (الهيئة الصحية) اما في المحلات التي لا يمكن فيها إيجاد هيئات كما تقدم فتحال وظائفهم على هيئة واحدة

(٧) كل من الهيئات السابقة مستقلة في وظائفها وقراراتها اما المعاملات التي تكون مرتبطة بين واحدة منها والاخرى والخصوصيات التي تكون مختصة بالمسائل المالية فانه يجتمع رؤساء الهيئات المذكورة ويتذكرون بعضهم مع بعض وان اقتضى الحال ينتخب معهم ثلاثة اعضاء او سبعة بقرار المجلس العمومي يشكلون هيئة ادارية لينظموا الاحوال المذكورة آنفا

(٨) يجتمع اعضاء الهيئات المذكورة في المادة السادسة ويشكلون المجلس العمومي

ماده (٩) ينتخب عن كل لواء وقضاء بالانتخاب السري اعضاء لا يتجاوز عددهم اكثر من خمسة ولا يكون اقل من اثنين ليكونوا مندوبين في المؤتمر العمومي الذي يعقد بمركز الولاية ويتألف من مجموع الهيئات الادارية اما الالوية المستقلة فتقوم مقام الولايات . والاعضاء الذين ينتخبون لحضور المؤتمر العام في مراكز الولاية يجوز انتخابهم من الولاية

ماده (١٠) ينتخب عضوان من مؤتمر الولاية حازان للأكثريّة المطلقة فيوفدان الى الاستانة ليعضرا المؤتمر العمومي المتألف من اعضاء الهيئة الادارية

خلق العالم الى يوم القيامه . فلو كان ماجاه به مما ينال بالتعلم والتفكر والطرق التي يسلكها الناس لكانوا اولي به منه واسبق اليه لان اسباب ما ينال بالفكر والكتابة والحساب والنظر والصناعات بايديهم فهذا من اقوى براهين نبوته وآيات صدقه انتهى بتصرف

جمعية الدفاع المالي

قدقررت اللجنة المركزية لجمعية الدفاع المالي بعد مناقشات عديدة طويلة ضرورة دوام هذه الجمعية بعد الحرب القائمة لحاجة المملكة العثمانية الى جمعية بعيدة عن الاحزاب السياسية ومصادماتها حريصة على المصلحة الحقيقية للجميع كما تكون لجنة بين العناصر والاحزاب فتجمع القلوب المتنافرة وتصلح بين النفوس المتناكرة . وعلى اثر ذلك القرار العظيم وضعت الجمعية لائحته فاجيننا ترجعها للقراء فيما يلي

الفصل الأول

في بيان شكل ومقصد الجمعية

ماده (١) تأسست جمعية « باسم جمعة الدفاع المالي » بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٣٢٨ على اثر اجتماع عقد في صالون دارالفنون مركب من ذوات مجربين ومقتردين علماء وفضلاً وموثوق بهم عند جميع الناس في انحاء البلاد العثمانية على ان يكون مركزها العمومي ومرجعها القانوني في الاستانة اما غايتها فهي الاعتناء بالتربية المالية والسعي وراء الشئون الحيوية والاقتصادية والعلمية كذلك وتعميد الامة السعي والعمل دائماً مع تهيئة الشرائط اللازمة لاعداد افراد من الامة للذهاب الى ميادين القتلى عند الحاجة وعلى ذلك فالجمعية ستبقى دائماً مجمدة في سبيل تحقيق هذه الغايات الشريفة .

(٢) ان الجمعية عند الحرب تضع قوانين وقتية تعين به ما يجب عمله اثناء الحرب ويكون دستوراً لعملها كما فعلت في بداية شكلها .

(٣) الجمعية مكلفة برعاية جميع قوانين الدولة في اجرائها وعدم المداخلة في امر الحكومة وجل عمل الجمعية عرض المسائل الموافقة والخدمة لمقاصدها والنافعة للامة والمملكة ضمن اختصاصاتها التي حازتها من افراد الامة على الحكومة لتجلب نظرها اليها

(٤) الجمعية لا تدخل لها في الفرق السياسية ولا بالسياسة مطلقاً وانما وظيفتها السعي في ان تجعل الاعضاء المنتسبين اليها كاسرة واحدة لاهم لها سوى محبة الوطن والسعي وراء تنفيذ غايات الجمعية والتجرد عن الرغائب السياسية والذانية

(١٦) على الذين يصبحون من اعضاء الجمعية الطبيعية اذا استعفوا من العضوية المذكورة قبل ختام السنة المالية التي دخلوا فيها دفع الاقساط

ادرنة

كثله يناجي بها ادرنة شاعر العرب العراقي «معروف الرصافي»
الذي تعرفه الامم العربية في اطراف الارض بديع شعره وحكيم
قوله :

ادرنة صبراً فان الظبي سترعى لك العهد والموثقا
وداعاً لمغناك زاهى الربى وداعاً ولكن الى الملتقى

عزاءً لمسجدك الجامع أفارق محرابه المنبرا
وهل في مصلاه من راكم يحجب المؤذن ان كبرا
فيا لسقوطك من فاجع به فجع الدهر ام القرى
وقبر النبوة في يثر با ومثوى ضجيعه مثوى التقى
ومن في البقيع ومن في قبا ومن شهدوا الفتح والخذقا

رويداً ادرنة لا تجزعى وان قد امضك هذا الاذى
اذا انت بالسيف لم ترجى فلا حبذا العيش لاحبذا
فانك (الساسنا) فاسمعى ونحن الفرنسيس من بعدذا
سلام على قطرك المجتبى سلام على افك المتقى
أيمنى لشرك العدى ملعبا وكان لتوحيدنا معبدا

المركزية ويجوز انتخاب المندوبين المذكورين عضوين في لجنة الاستانة اذ
ليس من المحتم ان ينحصر انتخاب الاعضاء في نفس الولاية.
(١١) يوجد مأمورون فخريون وموظفون لمباشرة الشؤون الحسابية والتحريرية
مرتبطون باللجنة الادارية.

(١٢) ينتخب رؤساء اللجنة باكثرية آراء كل هيئة ومدة الرئيس سنة ويجوز
انتخابه ويترأس المجلس السنوية رؤساء الهيئة الادارية اما في المؤتمر فينتخب
الرئيس باكثرية آراء اعضاء المؤتمر وهذا الرئيس تبقى وظيفته مادام المؤتمر
١٣ — يجوز لرؤساء الهيئة المختلفة اذا طرأ لأحدهم عذر شرعى توكيل
احد اعضاء تلك الهيئة الذى يراه موافقاً اذا غاب رئيس المؤتمر العمومى لعذر
شرعى فينتخب مكانه آخر باكثرية الآراء ويكون هذا الانتخاب مؤقتاً

الفصل الثالث

في بيان اوصاف الاعضاء والشرائط التي يجب سيرهم عليها
(١٤) ينتخب عضواً في جمعية الدفاع الملى من لا يحمل انتساباً للجمعية وسيلة لما ربه الحزبية
ويشترط ان تبلغ سنه الحد المعين وان يكون مالكا لحقوقه المدنية والسياسية من اراد ان
يكون عضواً في جمعية الدفاع الملى عليه يجب اولا مطالعة هذا القانون الاساسى ليفهم
مقصد تشكّل الجمعية وغايتها الوحيدة ثم يشهد الله ووجدانه الا
يتذرع بالانتساب اليها لمنافعه الذاتية وان يكون منقاداً لاحكام هذا القانون
(١٥) كل من علم آمال ومقاصد الجمعية واقتنع انها نافعة للامة
والوطن واراد تحقيق بغيتها يتمهد بدفع غرش واحد كل شهر فيصبح من
اعضاء الجمعية وله ان يزيد لها او ينقص كل شهر ماشاء كما انه يجب على
الاعضاء الذين يريدون دفع مبالغ سنوى مراعاة المادة الثامنة من قانون الجمعيات القائمه
لا يجوز ان يتجاوز ما يكتب به في الجمعيات سنوياً اربعة وعشرين ليرة)
والاعضاء الذين يدفعون اعانة شهرية يمكنهم دفعها مرة واحدة عن سنة كاملة
والتهديدات المذكورة لا تكون موروثه

كل فرد لم يتمهد بدفع شئ يمكنه اعانة الجمعية كما يريد ويشترى
اما ارباب التعهد فيراعى فيهم الاهلية القانونية طبقاً للمادة الخامسة من
وقانون الجمعيات الا يعرفوا بسوء السلوك والا تصدر منهم احكام مخلة بالشرف ولا يبرى
حكمها على ارباب الاعانة الصرته

لقد حل فيها لواء الصليب حلول الحفارة بين الجلال
فظلت بادمعها والنحيب تنوح على نجمها والهلال
أنتسى ادرته عما قريب اذن لا بلغنا العلى والكمال
فسوف على الرغم من اوربا تقوم لها فيلقاً فيلقا
فتبكي هزاهنا المغربيا وتضحك اسيفنا المشرقا

أيقندر الشعر ان يشكرا كما يجب الشكر ذاك البطل
فتى كان في الحرب مستشعرا شاماراً اجلته كل الدول
فيا سيف (شكري) وكل الوري غدت تضرب اليوم فيك المثل
سيجري لك الشكر ان ينضبا ويمجى الزمان به مغرقا
وأما ذكرت حلانا الحبي وقنا كقومتنا في اللقا

ارى الدهر انهض كل العدى على حين قد قعد المسلمون
فكم اكؤس جر عونا الردى ونحن على كيدهم صابرون
أيحسن يا قوم ان تقعدا وقد آن ان ينهض القاعدون
فسيل المصايب غطى الزنى وغيم النوائب قد طبقا
واوشكت الارض ان تقلبا وصبح القيامة ان يفلقا

دع الغرب ينم في حاله وان لقي الشرق منه الكروب
ولا تسألنه بأفعاله فعهد التمدن عهد كذوب
فنحن اغتررنا بأقواله ولكتنا بعد هذى الحروب

سنأبى عليه اشد الابا فاما الفناء واما البقا
وزركب من عزمننا مركبا ونزقى وان صعب المرتقى

لقد آن يا قوم ترك الوئى وترك الشقاق وترك الدد
الى كم نكابد هذا العنا ونخبط في جهلنا الاسود
وبالعلم من قبل نلنا المنى وفزنا من العيش بالارغد
ولكنما العلم قد غربا فلا عيش الا اذا شرقا
فهبوا اليه هبوب الصبا عسى ان يسح ويغدودقا

اخطار المستقبل

—

فطرت الامة التركية من الاخلاق الصحيحة على البسالة وقوة العزم وبذلك تمت لها فتوحها الكثيرة حتى اقامت جيوشها الجرارة على ارباض فينا عاصمة النمسا . ولكنها اليوم اخذت ترجع الى الوراء متقهقرة وماسبب تقهقرها الانها لم تصبغ بصبغتها الجنسية من دخل تحت سيطرتها من البلغار والروم والصرب . ولاشك ان تقهقرها اليوم ليس مضرا بها فقط بل ضرره الكبير يع جميع العثمانيين بل يع العالم الاسلامي اجمع .

ولقد اصبحت الامة العربية من قبل بما اصاب الامة التركية اليوم ولكن سقوطها لم يكن فاجعا اليما كسقوط الامة التركية اليوم وما ذلك الا ان الامة العربية لم تهمل في عهد استيلائها سياسة الاسلام اى لم تهمل السعى الى صبغ من استولت عليهم من الامم بالصبغة الاسلامية .

قلت ان الامة العربية لم يكن سقوطها اليما غير اننى استثنى في هذا القول فجائع الاندلس تلك الفجائع التي جرت في عهد ثارت فيه ثورة الصليب على العرب من كل جانب .

وذلك ان العرب كانوا قد اخذوا يهاجمون اوربا بعد ان تم لهم الحكم على القسم الاكبر من آسيا وعلى تلك افريقية . وكان لصولتهم من الدهشة ماهز شبه جزيرة اسبانيا حتى قلبها حكومة اسلامية في مدة يسيرة من الزمان . بل كانت الراية الاسلامية اذ ذاك قد جاوزت جبال البيرنيه الى ماوراءها ايضا .

وكان هذا الاستيلاء العظيم قد هز اعصاب اوربا خوفا ودهشة فكان من نتائج هذا الخوف ان اتفقت اوربا واخذت جيوش الصليب ترحف على العرب من كل جهة . لان الاروبوليين قاطبة كانوا قد ادركوا مالاستيلاء العرب من العاقبة الوخيمة التي يجتري سيلها الا ترى لو استمر جميع بلادهم

ونحن اذا بحثنا عن الاسباب التي أدت الى انقراض حكومة الاندلس العربية في الازمنة الاخيرة وجدناها اسبابا اخلاقية صرفة اذ نرى مكارم الاخلاق العربية قد عفتها دبور المفساد ونرى الوحدة الاسلامية قد انحلت عراها حتى ساد الخلاف والتدابير بين العرب . ويمكننا ان نعرف مقدار ما كان ملوك العرب الآخرين في الاندلس من سوء الادارة والاخلاد الى الشهوات بما راينا في العهد الحميدي

الذي امتد ثلاثا وثلاثين سنة . وما فشا في ذلك العهد من سوء الادارة وفساد الاخلاق وتضحية المنفعة العامة للمنفعة الخاصة .

وبالنسبة لما تقدم نقول ان سقوط العرب في الاندلس لم يكن ناشئا من خطأ الاسلاف بل من خطأ الاخلاف ولس كذلك سقوطنا اليوم فانه جنابة جناها على هذه الدولة اسلافها وذلك ان سلاطين آل عثمان لم يفكروا في ربط ما فتحوه من البلاد برابطة سياسية . بل اكتفوا بامتلاكها ماديا ولم يخطر على بالهم ان من دان لحكمهم من العناصر المسيحية لانكون قلوبهم عثمانية ماداموا مسجونين وانهم لا بد ان يأتى عليهم يوم ينتهزون فيه فرصة تضعف الدولة العلية فيخرجون عليها ويثيرون في وجهها كما قد وقع اليوم في بلاد الروملى .

نعم ! ان سلاطين آل عثمان قد اخذتهم نشوة النصر فاكتفوا بفتح البلاد عنوة ولم يفتحوا قلوب اهلها فتحاً سياسياً . هذه بلاد الروملى فتحوها بالسيف ولكن تركوا لاهلها جميع عنعناتهم الملية والمذهبية وتركوا لهم تاريخهم وعاداتهم ولسانهم وادبياتهم وما غيروا من ذلك شيئا ولا بدلوه . ولم يتبعوا ما اتبعه العرب قبلهم من سياسة التمثيل قههم اليوم لهذه الغفلة يتقهقرون وبهذا السبب يندحرون نحن معاشر المسلمين اليوم تجاه فاجعتين دمويتين من فجائع الدهر احدهما فاجعة اليوم الناشئة من خطأ الاسلاف والاخرى فاجعة الاندلس الناشئة من سوء اخلاق الاخلاف . فيجب علينا ان نعتبر كل الاعتبار بهاتين الفاجعتين ولنعلم اننا اليوم ان كنا خلفا لمن قبلنا فسنكون سلفاً لمن بعدنا وعليه فيجب ان لا يكون سعينا لهذا اليوم فقط بل للمستقبل ايضا . ان مظالم البلقان ضربة قاهرة ان لم تكن قد ايقظتنا فليس للعثمانيين وللالمسلمين من حياة في المستقبل .

ولنعتبر بالامان فانهم ما اقاموا دعائم هذه الامبراطورية الكبيرة الا بعد ان غلبهم نابليون شر غلبة . وكذلك الفرنسيين ما نهضوا نهضتهم الا بعد ان دمرتهم حرب سنة ١٨٧٠ فهم اليوم ينتقمون من الالمان ادبيا بتقدمهم العجيب . وكذلك يجب على العثمانيين ان يحولوا المستقبل منذ اليوم نصب اعينهم ويسعوا السعى الحثيث الى كل مابه حياتهم في المستقبل .

لاريب ان الملك العثماني قد صغر في هذه الحرب ولكنه اصبح ذا حدود طبيعية يسهل عليه الدفاع فيها كل السهولة . فان ما بين مديته واينوز من خط الحدود الجديدة لخط موافق لما يقتضيه فن الحرب بحيث نستطيع ان ندافع فيه عن المملوكة الثلاثة

ومن المعلوم ان هاتين الحكومتين بما اصبحت بينهما من الجوار سيكون بينهما اختلاف كثير فليس من الممكن اذن ان تتفقامرة ثانية . ولكننا مع ذلك يجب ان نرضيهما متفقتين دائماً ونفرض ان كلا اسطوليها يهجمان علينا معاً اذ لا شك ان السياسة تابعة للمنفعة الداعية الى التلون والتبدل في كل يوم فليس في السياسة ما يقال عنه انه حال او مستبعد .

وقصارى القول ان الدولة العثمانية ليست بعد اليوم في خطر من جهة البر على ما شرحناه آنفاً وانما هي في خطر من جهة البحر اى من اسطول بلغاريا المستقبل واتحاده مع اسطول اليونان . ولذا يجب على الدولة منذ اليوم ان تراقب هذين الاسطولين في قوتها البحرية ويجب ان تتأهب لهما منذ اليوم بحيث لا تدعهما يفوقان اسطولها وذلك بان تتبع الخطة التي اتبعتها الانكليز تجاه الالمان في القوة البحرية . فلا تترك هذين الاسطولين يفوقان اسطولها كما ان الانكليز لا يتركون اسطول الالمان يفوق اسطولهم .

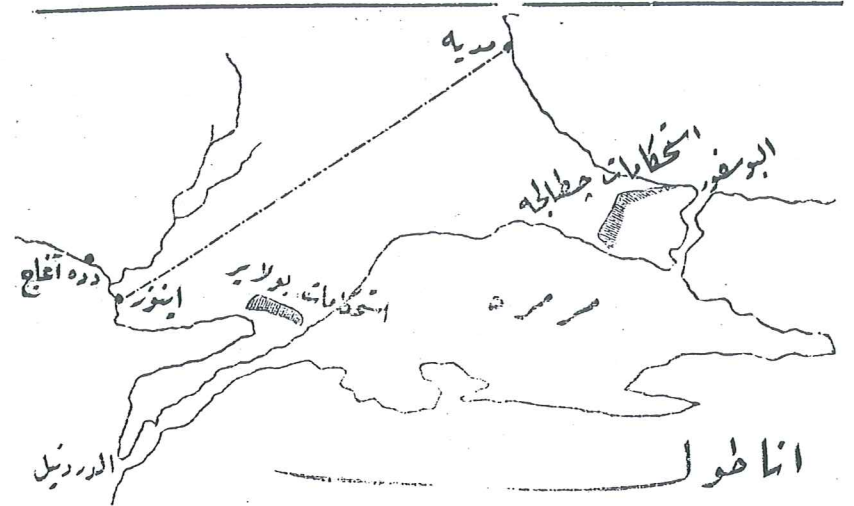
وعليه في اليوم الذي نعتقد فيه الصلح يجب ان نعقد معه استقراضاً كبيراً لانشاء عدة سفن حربية من طرز الدردنوط .

لا شك ان مقام الخلافة هو المستند الوحيد الذي عليه يستند الاسلام في محافظة شرفه فيجب ان لا يذهل المسلمون عن ذلك وان يعلموا انه لا بد ان يأتي لمقام الخلافة يوم يضطره الى الدفاع عن حقوق المسلمين كافة . وهذا هو الذي دعاني هنا ان اتكلم عن واجبات العالم الاسلامي تجاه مقام الخلافة فاقول :

ان العالم الاسلامي لا يمد الى مقام الخلافة الايد الاستغاثة به عند كل نكبة تصيبه . ولا ننكر انه يحق له ان يطلب الفوث منه ولكننا مع ذلك نراه يخجل ان يبذل ولودرها واحداً في سبيل كل ما يستلزم تقوية مقام الخلافة وتهيته للدفاع والذب عن حياض الاسلام . فلا بد ان يبقى مقام الخلافة ضعيفاً وان يكون حق الاستغاثة به ساقطاً . اولم ير المسلمون العثمانيين من الروم والبلغاريين يبذلون اموالهم لحكومة بلغاريا واليونان رغماً من كونهم عثمانيين . هذا زرفوداكي في مصر وهو رومي عثماني قد تبرع باموال طائفة لاسطول اليونان . وناهيك بالدائرة آواروف اليونانية فان حكومة اليونان اشترتها بما تبرع به رجل واحد من تجار الروم في مصر .

ولاحاجة الى ايراد امثلة كهذه من الانكليز او الفرنسيين او الالمان فان لهذه الامم من المناقب الوطنية ما لا نكون نحن تجاهه شيئاً يستحق الذكر .

فليعلم المسلمون ان دولة الخلافة لكي تستطيع ان تدافع عن حقوقها يجب ان تكون قوية وانها لا تكون قوية الا باسطولها فاعليها اذا اردنا ان نحيا حياة عزيزة الا ان نتبرع بالاموال لتقوية اسطولنا .



انظر في الخريطة المرسومة وتأمل في خط الحدود الجديدة تجدان الدولة العثمانية بعد اليوم ليس لها حدود الا مع بلغاريا فقط وانها قد انقطعت جميع روابطها وعلاقتها التي كانت لها مع الصرب والجبل الأسود . فلا عدولنا في المستقبل الا بلغاريا . والبلغار اذا حاربونا بعد اليوم فليس لهم عندنا سوى هدفين احدهما وهو الهدف الاصلي الجيش العثماني والثاني الاستانة . ولقد علمنا من هجوم بلغاريا على متاريس شطالجه وبولاير مقدار ما لهذه المتاريس من الرصانة والمثانة التي ولاها جنود بلغاريا ادبارهم مع انها لم تكن النتيجة عمل لم يستمر اكثر من شهرين .

اما بعد ان تضع هذه الحرب اوزارها فلا بد ان الحكومة ستنتهي في هذين المكانين اعني جتالجه وبولاير ما يسدها سداً محكما في وجه العدو من المتاريس الجسيمة على آخر طرز وتجهز تلك المتاريس باضخم المدافع واسرعها بحيث اذا هاجمها بلغاريا رجعوا عنها بالويل والدمار . ولما في هذين الثغرين من الضيق وقصر المسافة يكون اقتران متاريسهما مستحيلاً على نيران الاسطول المدمرة .

وعليه فلو فرضنا ان بلغاريا لا يهاجمونا وحدهم بل يتفقون ثانية مع الصرب والجبل الأسود ايضا لما كانوا في مهاجمتهم من هذين الخططين الاثنتين مقهورين . ولكن يجب ان لانسى ان هذا في البر فقط واما من جهة البحر فحقن في خطر عظيم . لان بلغاريا وان لم يكن لهم اليوم اسطول يذكر الا انهم بسبب اتساع بلادهم الى البحر الابيض اصبحوا في اشد الحاجة الى اسطول يدافع عن بلادهم تجاه تركيا واليونان معاً فلا بد انهم سينشئون لهم هذا الاسطول ولا بد ان يكون من آخر طرز وعلى احسن ما يتصور من السرعة والمثانة .

وعليه فتصبح الدولة العثمانية مهددة من البحر باسطولين لعدوتها بلغاريا واليونان .

مظالم البلقان

تقارير ووثائق

لا يحجل احد ان الحرب الحاضرة انما هي حرب دينية القصد منها محاربة الدين الاسلامي ومحوه ولذلك قام فرديناند ونشر بلاغه المعروف ليستثير حية جيشه وليبر ما ياتيه من الفضائع والوحشية ويوجد له نصيراً من الدول الاوربية .

ان الدناءة التي ارتكبتها البلقانيون لو جمعت لملائت المجلدات الضخمة وليست هذه الوحشية التي يرتكبها العسكر الا اوامر صادرة اليهم من صوفيه وايتنا فقد ظهر للاروبيين الذين كانوا ينظمون الجندرية ان بلغاريا والصرب واليونان هي الملجأ للاشقياء والمأوى لهم وان جميع حركاتهم اظهرت ما كانوا يسمونه بالمسألة المقدونية ولولان كثيرا من الجرائد المنصفة مشغولة بالبحث في نتائج التحشيدات النموية والرومانية لملائت اعهدتها الكثيرة بذكر دناءة البلقان

ونحن لانريد الا ان نقص اخبار الوقائع التي تحصل باسم الصليب وباسم القنصل الاوربي ولنبداً بحوادث التي حصلت في سلانيك

ورد الى الباب العالي اخيراً تقرير يفيد ان رجال الجندرية العثمانيين الذين كان يجب ان تحفظ اسلحتهم جردوا من اسلحتهم وشياهم وكل ما كان لديهم وقد نفى بعضهم وحبس البعض الآخر ولما شكوا المظلومون امرهم الى القائد اليوناني لم يابه طبعاً لهم ولم يلتفت اليهم حتى انهم في اليوم الثاني من تقديم الشكاوى اعدوا فعلهم الاول وجردوا جميع رجال الجندرية الباقية من الاسلحة ووضعوا الفين منهم في محل لايسع الا مائتين واقفين على قدمهم وباليتهم اطعموهم مما كان معهم بل تركوهم يقتلهم الجوع وتؤلمهم المسغبة ولم ينقذوا من هذا العذاب الا ليم الا بعد الشكاوى العديدة وبعد ان عملت فيهم يد الفظاعة والوحشية مات من الانسانية وتكره الطباع البشرية وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل كسروا ابواب المخازن المملوءة بالاسلحة واخذوا كل ما وجد فيها وصاروا يطوفون بالضباط العثمانيين في الشوارع ويكسرون سيوفهم ويمثلون بهم وليست المصايب قاصرة على العسكر فقط بل كان كل مسلم في سلانيك نصيبه ذلك لذلك نرى حوادث النهب والسلب في سلانيك تزداد ولقد نشرت جريدة الدابا الصادرة في ٦ يناير تقريراً للمسئو ليو تان احد الضباط الذين استدعاهم الحكومة العثمانية لتنظيم الجندرية قال

« ان لنا اليوم هاتفاً ينادى من وراء الغيب باعلى صوته قائلاً .
« ايها المسلمون : اما ترون بطل البحر رؤف بك كيف دمر المتفقيين وقلوبهم راساً على عقب وكيف قد اغرق لهم تسع سفن واتزلها الى قعر البحر بما فيها من جند العدو وعدته الحربية ومدافعه الضخمة الحصارية وليس لهذا البطل سوى دارعة صغيرة فكيف لو كان له دارعة كبيرة من طرز الدردنوط !

ايها المسلمون ! عظموا هذا البطل وبجلوه ولا تقتصروا من الحمية على تجليه فقط بل اشتروا له دردنوطاً وقولوا له خذايها البطل العظيم هذا الدردنوط العظيم فمن كان مثلك عظيماً لا يجوز ان يكون سلاحه الا عظيماً .

ايها المسلمون ! اقتصدوا في طعامكم وشرابكم وابقوا طابون حياءاً ووفروا المال وابذلوه لكي تميمشوا اعززة والا عشم صاغرين ما لم يكن لكم اسطول قوى يحمينا في كل جهة من جهات البحر المتوسط »

ويتلو هذا الهاتف رؤف بك نفسه فهو ينادى باندى صوته ويقول :
« ايها الموحدون ! ألم ابرهن لكم على اني وحدي قادر على احياء مجدنا الماضي ولويسفينة حقيرة صغيرة . فان اردتم الشرف وطلبتم العز فاعطوني دردنوطاً كبيراً فان ذلك حق لي عندهم وواجب محتم عليكم »

ولكن لا ينبغي ان نقابل صوت هذا الهاتف فقط بل لا ينبغي ان نحبيه الى ما طلب منا فاعلا وليست الحمية عبارة عن رفع اصواتنا قائلين فليعيش فلان او فليحي الوطن .
لا ريب ان في العثمانيين اليوم زهاء مليونين ممن يستطيعون ان يدفع كل واحد منهم ايرة في سبيل الله فلو فعلوا لامكن بهذين المليونيين من الليرات ان نعمل لنا اكبر دارعة من طرز الدردنوط . فلم اذا لانفعل ؟

ويوجد في مصر زهاء خمسة آلاف رجل يستطيع كل منهم ان يتبرع بالف ليرة فلو تبرعوا بذلك لحصل لنا منهم خمسة ملايين ليرة وامكن ان نعمل بهادارتين كبيرتين من طرز الدردنوط . ولما كنا لامل لنا في الاغنياء الذين تنسدر فيهم الحجة الوطنية ولكن املنا في غير الاغنياء من الناس فانهم هم اهل الحمية . وفي مصر اثنا عشر مليوناً من المسلمين فلو تبرع كل واحد منهم بعشرة قروش لحصل لنا من ذلك مليون ليرة . على ان في مصر من اصحاب الحمية وكبار النفوس مثل صاحب الحمية والغيرة دولة الامير الارمني عمر طوسون باشا ممن يستطيعون ان يوجدوا لنا جوعاً كثيرة من اهل الحمية .
لا شك ان ما قامت به الدارعة حميدة من الوقائع الاخيرة قد اوجد لرؤف بك منزلة عظيمة من الحب في قلوب اهل الاسلام كافة ولكن يجب ان لا نقف المسلمون عند هذا الحد . بل يجب بدل ان يهدوا اليه هدية شخصية ان يجمعوا الاموال فيهدوا بها اليه دارعة كبيرة فانهم لا يجبلونه ولا يسرونه الا بذلك . غزاه الى جمال

ان الاحوال كل يوم تزداد سوءا وان الالفين الذين من رجال الجندرمة لا يزالون محبوسين في مخزن الدخان ولقد امكنني بعد الجهد الجهد والمتاعب الجمة ان احصل على ١٥٠٠ كيلو من الخبر لتوزع على الجندرمة بحيث ان كل شخص يأخذ نصف كيلو ومن القريب انهم لا يخرجون من قولهم اننا لنسنا بمكلفين باطعام هؤلاء ولذلك لم اخجل ان الفت نظر المسيور ا كثير الذي كان يخاطبني وقتله لو كانت الحكومة اليونانية تترك هؤلاء ينهبون لاعاش كل منهم نفسه. ولاجل رداءة الاكل الذي لم يكن الا الخبز المتحجر اتفقت مع القائم مقام شوقي بك على ان توزع مقدار من الدارهم على هؤلاء النعماء . ولقد اخذت من المسيورا ا كثير ورقة مالية مقدارها ٤٠٠ جنيه وتحصلت على ٤٠٠ اخرى من طريق آخر وقد تأخرت السفينة التي خصصت لنقل الجندرمة الى جهة اسيا بسبب فقدان الفحم ولاسباب اخرى

ولقد كنت جعلت محلا مخصوصا بقرب قصر الحكومة ووضعت فيه الاسلحة ومهمات الجندرمة خوف ان تبدها ايدي اشقياء اليونان ولكن هذا الحرص لم يجد نفعا ولم يحدث فائدة فان اليونان كسروا المخزن واخذوا كل ما فيه من الاسلحة ونهبوا ما وجد من الذخائر والمؤن والمزرت المخزن وجدته خاوياً على عروشه فذهبت من فوري الى الحاكم لاريه آثار النهب والسلب التي لم تزل آثارها بادية فقال لي لا تخف فان كل ما اخذ سيرد اليكم وقال لا يتسرب الى نفسك شيء من الرب فيما اقول فان الحكومة اليونانية لديها كثير من الاموال التي تمكننا من رد الحقوق الى اربابها وتحملنا تبعه ما عمله بعض عسكرينا . ومع كل هذه الوعود كنت اشك في صحة قوله ووعوده . ثم وضعت تقريراً بينت فيه ما اخذ وسرق وساقدمه قريبا الى الحكومة اليونانية .

وقد اخذ رجال الجندرمة اليونانية والعسكر اليوناني امس يلغون القبض على الضباط العثمانيين فذهبت الى منزل رفيقي القائم مقام شوقي بك فوجدت ضابطاً يونانياً وبعض رجال من العسكر اليوناني يراقبون المنزل خوف ان يسافر شوقي بك وذهبت الى قنصل انكلترا واخبرته بهذه الافعال الفظيعة فقبل القنصل انكاراً على اليونان ما فعلوا وذهب ممي الى المسيورا كشتوان وابلغنا احتجاجنا الى البرنس نيقولا بواسطة ياوره فأخبرونا انهم انما قبضوا على الضباط العثمانيين لانهم اعطوا البسا بورتات للمهاجرين ليسافروا الى بلادهم اخذوها منهم وارادوا الذهاب بها الى مناستر ليكونوا هنالك قوة جديدة يحاربون بها فلذلك قررت الحكومة

اليونانية فيهم . ثم سألت عن ان هذا القرار سيعم الضباط كلهم او هو مخصوص ببعض ضباط فان كان هذا القرار عاماً كان ذلك مخالفاً لما كانوا اتفقوا عليه مع تحسين باشا . ثم قلت ان ضباط الجندرمة بريئون من كل شيء فقال لي الحاكم ان هذا الامر لا يشمل ضباط الجندرمة . وقد تيسر لي رواية شوقي بك في (بياض قنّة) وهنالك رايت ما ينيف على ثلاثمائة ضابط يسوقونهم الى الباخرة تمسوقل لينقلوهم الى حيث لا اعلم وقد كان من هؤلاء غالب باشا قائد فرقة سيروز .

فمن هذه الحوادث التي الرعب في قلوب الاهالي وصاروا يكون على ما صابهم من الحظ السيئ . وان الاحوال كل يوم تأخذ شكلاً جديداً فان القتل اصبح عاماً ضد كل مسلم واصبحت الاعراض تهتك على قارعة الطريق بدون حياء حتى انهم اصبحوا يفتخرون بكل ما يحصل .

هذا كتاب من رجل اجنبي ومنه يعلم مقدار الفظائع التي يرتكبها اليونان الذين يزعمون انهم واضعو اساس المدينة ومصدر الحضارة ونسل الذين بهروا العالم بما وصلوا اليه من الرقي والحضارة

واليك ما قصه دمير اتما الذي جرح في ليواد تودا حسبما شاهده قال :

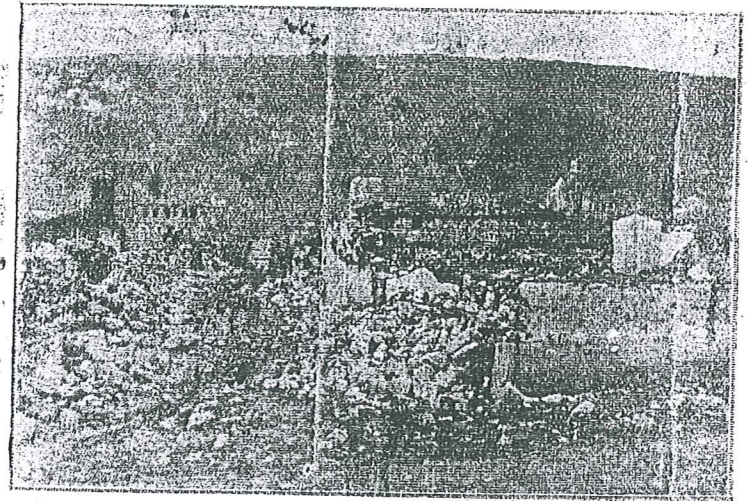
في يوم الاحد الساعة الثامنة صباحاً خرج تابوران من عساكر اليونان المشاة تصحبهم جماعة من الاروام معروفون واخذوا منا ثلاثين شخصاً وساقونا الى الجسر المتخرب بجوار بانيق كوى بحجة انهم سيتلون علينا بلاغا رسمياً فلما وصلنا الى المكان الذي اخبرونا به كبلونا بالقيود ثم سلوا المدي واخذوا يطعمونا بها فصرنا نصرخ فلا حد يجب دماءنا ولا رحمة تدفعهم الى تركنا ولكن بالرغم من الاغلال والسلاسل التي قيدنا بها تمكن جماعة منا من الفرار فصاروا يرموننا بالرصاص ولكن لم يصبنائى . ولقد اختفيت وراء صخرة اربعة ايام لاني لم يمكن متابعة العدو بما في رجلي من الاغلال وفي اليوم الرابع صادفت صديقا

ابن راع ففك وثاقى حتى امكنني الرجوع بعد اسبوع الى سلايك .

وفي قريتي لاهما وزاغران قتلوا اثنين رجالاً واحرقوا جثهم بالبترول حتى صرنا لانعرف اسمهم . ولقد قتلوا امامى اسكندر خواجه ونعمان اغا واسماعيل خواجه ومولى ابراهيم واحمد حسن ورمضان وهذه اسماء الذين كانوا يقومون بهذه الوحشية (قلايحي خريستو . سمرجي يورك . يوان انكليلى ابن قوجو . طناش ابن طزيقو . لىوا بن ايليا اغرييوز پترو واخيه اندون غابريل) وكثير غيرهم لم اصراف اسماءهم .

وفي يوم الاحد ٢٣ نوفمبر دعينا الى الجامع وكنا نحو الستين فاجلسونا في الجامع وصار البلغار واليونان يقولون (عثمانيون !!) ثم امرونا بالقيام لينظرنا الضابط قوريجوف فاطفنا بالطبع امرهم فلما وقفنا مدة استدعوا منا عبدالله بن علي ويوسف حسين وصقالي حسن ودمير علي حسين ومحمد اوغلي شكرى وساقوهم الى حرش يسمى لوزلر وهناك اصلوهم نيران عذابهم ثم قتلوهم وبعد مدة ساقوا من بقي منا الى نقطة على شاطئ نهر واردار واذا قوهم العذاب الاليم ثم قتلوهم ولقد تمكن محمد اوغلي مصطفى من الفرار الى قرية مرعشلى بجوار سلانيك اما باقى اخواننا فقد لاقوا ربه .

وفي قرية رحمانلى قتلوا ستين مسلما من الاشراف ثم صاروا يذهبون المساكين بحشية لم نرها من قبل ولم يكتفوا بتعميم القتل والنهب بل تجاوزوا ذلك الى اكراه المسلمين على الارتداد ومن لم يرتد ادخلوه المسجد مع اخوانه ونسفوهم بالدينا ميت واليك تقرير آخر كتبه الجبرالرومان الفرنسى مفتش عموم الجندرية العثمانية فى مقدونيا قال .

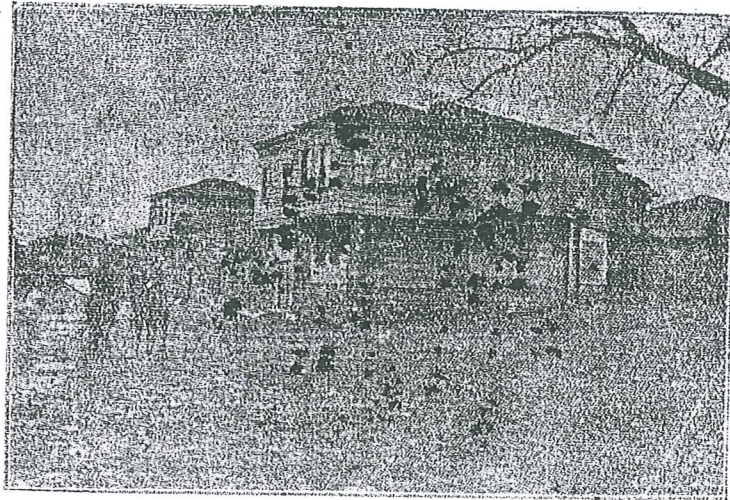


كيف ترك البلغار قرى المسلمين فى شتالجه

فى الساعة الثامنة من مساء يوم ١٩ نوفمبر دخلت عصابة من الاروام المدينة فجأة وقد كانت المفروزة العسكرية تحارب الاشقياء ولكنها انسحبت للاتصال بفرقة ياور باشا الذى كان يحارب الاشقياء ولكنها انسحبت للاتصال بفرقة كوماجنه

فانتز الاشقياء انسحاب الجنود العثمانيين واخذوا يعملون القتل والسلب فى المسلمين بدون رحمة ولاشفقة وقد كانوا لا يتركون صغيرا ولا كبيرا ولا رجلا ولا امرأة وقد كان المسيحيون يرشدون الاشقياء الى بيوت المسلمين ويملمون بيوتهم بصليب ابيض حتى لا يصيبهم شئ

ولما رأى المسلمون مايقع عليهم التجأ نفر منهم الى المسجد فلما رأى الاشقياء تبعوهم وارادوا ان يفتكوا بهم فخرج احد المسلمين اللاتين بالمسجد مسدده وصوبه الى احد الاشقياء فقتله فكان ذلك سببا للهياج فقام الاشقياء وحملوا على المسجد وقتلوا كل من فيه من المسلمين ولقد رايت ثانى يوم من الواقعة ٢٥ نفسا صرعى الظلم والغدرو والوحشية والتجأ ثلاثون مسلما الى مدرسة الرهبان الكاثوليك التلانية غير ان الاروام دلوا عليهم الاشقياء الذين ذهبوا من فورهم الى المدرسة وطلبوا من الرهبان تسليم المسلمين فابوا غير ان احد الاترك المدعو رضا بك قوهيسير الدولة العثمانية فى السكة الحديد الفرنسية سلم نفسه الى الاشقياء خوف ان يسرى للرهبان ضرر من اجل حمايتهم فحاصروا الشاب بالسلاح واكرهوه على



كيف ترك المسلمون قرى المسيحيين فى شتالجه

ان يسلم مامعه من الدراهم وان يعرفهم بيته الا ان ذلك الشاب الذى خاف على عرضه ان يدنس ابى ان يدلهم على شئ مما طلبوا مفضلا الموت على العار فلما رأوا صلابته طعنه احدا الاشقياء بمذبة فى يده فخرق ثيابه يتضرع فى دمه ثم صاروا

يزعون ملابسهم ويلبسونها وقد بقيت جثته في الشارع نحو خمسة ايام فلما فاضح هذا وما اقبحه ثم رجع الاشقياء الى الراهب التلياني وهددوه بالقتل ان لم يدلهم على محل الخزنة ولكنهم عثروا عليها فاحذوا ما فيها واطنه ١٠٠ ليرة عثمانية . اما الذين كانوا يرشدون الاشقياء الى المدين ويساعدونهم على فظائعهم فهم الاروام واشرافهم !! ومن الغريب ان اشراف الاروام هم الذين كانوا يشتغلون بالسرقة اكثر من غيرهم فبئس هذا الشرف الذي يسوق اهله الى فعل الدنيا او يدفعهم الى ارتكاب القبائح والفظائع

ولقد استمرت هذه الاعمال الوحشية ثمانية ايام كنت لا ترى الا الجثث المملوءة بها الازفة والشوارع ولا تسمع الا انين الذين نكبوا ولم يقف اولئك الاشقياء عند حددهم الا وقت ظهور العلم الفرنسي على الدارعة جوريليني دولاغراوير فانهم لما رأوا تلك الدارعة خففوا من غلوئهم حتى ساد الامن بعض الشيء . ولم تقتصر هذه الوقاحة والدناءة على المسلمين بل كان للاجانب نصيب فيها فان الاروام قد ازروا بشرف المسيو برغويليون قنصل النمسا واهانوه ولقد بلغ بهم الحق والجبل مبلغا ربما كان سببا لهلاكهم فانهم كانوا يريدون اقفال كل المحال الاجنبية ويؤسسون غيرها خصوصا المصارف المالية

ولقد راي الضباط الفرنسيون باعينهم الفظائع التي كان يرتكبها البلغار في دده اغاج حتى انهم اخذوا كثيرا من صور المنكوبين المسلمين ولما وصل البلغار الى دده اغاج ارتكبوا من الفظائع ما يحزن له صدر كل انسان منصف حتى ان الرهبان التليان شكوا الى الجنرال متربوليدامهم لان عصابة الاشقياء قد تعدت عليهم واهانتهم وسرقت اموالهم ولما اخذ الجنرال في التحقيق وجد سبعين ليرة من المائة التي اغتصبوها سابقا ولكن هذا الجنرال صعب عليه ان يرد الاموال الى اصحابها ولذلك قال سنحفظ هذا المبلغ ليكون اعانة لثمال العساكر الذين قتلوا في سبيل خدمة وطنهم

وفي اليوم الثاني من دخول البلغار المدينة هاجموا مخزن المسيروديس قنصل المانيا ووكيل نقل شركة شنكر فنهبوا كل ما وجدوا فيه واخذوا مائة صندوق من السردين ومائة اقه من السكر وغير ذلك ولما رفع الامر الى القومندان قال نحن الآن لا نعمل شيئا لاننا في الحرب ولا نعلم ما عمله الاجانب من جراء الفظائع التي لحقتهم ولقد وضع البلغار يدهم على السكة الحديدية الفرنسية وطرردوا جميع الموجودين فيها عثمانيين طبعيا وفرنسيين واقاموا عوضا عنهم موظفين بلغاريين ولقد

كان جهل هؤلاء البلغاريين بسير القطارات سببا لخروج العربات عن الخطوط الحديدية حتى سبب ذلك خسائر جسيمة ولذلك اجتمع الفرنسيون وقرروا اتخاذ الاحتياطات للدفاع عن انفسهم فان الاروام قد غلوا في الامور وجعلوا عاقبة جهلهم وحقهم ولقد حمدنا الله على وصول الباخرة الفرنسية التي اقلتنا الى الاستانة

في طويران

وابتدأت الفظائع في طويران بتشكيل مجلس اصدر حكم الاعداد على مأتى نفس من المسلمين في نية عشر يوما وكثير من هؤلاء المظلومين جعلوا اهدافا لرصاص رجال العصابات قبل ان يعد موا بمقتضى حكم المجلس . وتأكد لنا ان بين هذه الضحايا كثيرا من البنات قتلن بعد ان هتك اعراضهن وحكم المجلس المذكور على كثير من المسلمين بدفع مبالغ كبيرة ونذكر منهم اسماء الذين عرفناهم .

اخذ من على بك ١,٠٠٠ ليرا عثمانية وبعد اخذ هذا المبلغ قتل شرقتله وكذلك جاويد بك من استروجه بعد ان سلب منه مبلغ جسيم كان خطه القتل واخذ من محمد امين افندي مفتى عثمانية ١٥ ليرا ومن ملا احمد حسين ٤٠ ليرا ومن الحاج عثمان ٣٠ ليرا ومن حتى بكرى ٢٠ ليرا ومن محمود افندي ٢٥ ليرا ومن رجب شاويش ٥ ليرات ومن توفيق مأمور الريجي ٣٥ ليرا ومن مدير التلغراف ١٧٥ ليرا ومن شوكت افندي امين الصندوق ٨٠ ليرا ومن مأمور الريجي في استروجه ٨٠ ليرا .

قتل المهاجرين في طويران

لما راي المسلمون ان عصابات البلغار تخرب وتنهب القرى في كل مكان اضطرروا الى الفرار امامهم من الشمال الى الجنوب وقد التجأ قسم كبير من اهالي رادويشته واستروجه وعثمانية الى طويران فبعد ان جرى القتل والنهب للذان ذكرناهما في طويران اجبر هؤلاء اللاجئين على الرجوع الى محلاتهم بعد اعطائهم التأمينات الكاذبة وهددت العصابات بالقتل كل من لا يعود الى محله في مدة قصيرة حددت وباحراق بيت كل من يضيف مهاجرا . واذا ليس في الامكان عدم الاطاعة قد رجع هؤلاء المظلومون منقسمين الى اربع فرق كل فريق يتراوح مقداره بين ثلاثة واربعه الاف نفس اما الجماعة فيبلغ

عددها ٤٦٠٠ نفس واكثرهم من الاولاد والنساء المسنات وقد ساروا
بعد الظهر وما كادوا يخرجون من طوران حتى هجم عليهم البلغار فقتلوا اكثرهم
وساقوا الباقين الى قرية قاسطوراين استروجه وطويران حيث نهبوا جميع ما معهم
حتى ما بقوا على ابدانهم سوى القمصان والسر اويل وقبل ان ينتهي الليل اجبروهم
على السير وقسموهم الى جماعات صغيرة حيث عملوا فيهم الحراب والفؤس حتى
اتوا عليهم كلهم

والفريق الثاني الذي تألف من ٤٠٠٠ نفس لم يبق منه احد كالأول و ٣٠٠٠
نفس التي كان يتألف منها الفريق الثالث قتلت عن آخرها اما الفريق الرابع فقد
قتلوا قسماً منه في (طرابانا) والقسم الآخر خارج استروجه قرب الحفر التي
حفروها غير انهم اقتصروا في هذه المرة على قتل الرجال وابقوا النساء
ويقدر عدد الذين قتلوا من المسلمين في جهات استروجه بستة آلاف اضعف
الى ذلك العدد العظيم الذي ضحى من المهاجرين الذين ذكرناهم في قرية
(ووليوس) التي تحتوى على ٤٧ بيتاً مسلم من اهلها سوى ثلاث انفس فقط
وفي قريتي (روربنك) و (شوشيتير) قتل الرجال واقتضت البنات وعمدت
للنساء قسراً وقد جرى من الفظائع بجوار طويران كما جرى بجوار استروجه فاعدم
٩٠ رجلاً من قرية بيوكلي وما نخلص من القتل من رجال قري بيوكلي وشبلي
كاكشته وآشاعى محله سوى اربعة رجال لاغير .

في قضاء اخي شابي

في ١٢-٢٥ تشرين اول سقطت بلدة اخي شابي مركز القضاء في ايدي البلغار
وبعد يومين سقطت بلدة بلاس ايضاً وبعده قري البوماق (ترك الروملي) وهي
اسميلا . قارشيلي كبير . قارشيلي صغير . افلاح . تارين . طوبوقلي . يونس
دره . فنديجي وغيرها فجميع هذه القرى احترقت والقسم الكبير من اهلها
الرجال ذبحوا والنساء ابحت اعراضهن وتركوا مشنتين حفاة جياعا والبنات
اللاتى اعجب بهن البلغار ارسلن الى بلغاريا ونذكر من اسماء الضحايا المعروفة
ادم آغا باشا قلى قبض عليه من قبل رئيس عصابة بلغاريه اسمه غاوريل بن باباراهيتو
وعائلته رميت من اعلى جسر باشا قلى الى النهر وذبح على اغا من قرية بوسنى امام
حانوته كما تذبح النعاج

مظالم البلقان ايضا

تقرير الجمعية البلقانية في لندن

نشرت جريدة (دويج وولفسيلات) مكتوباً اتاها من لندن في ٢٨
مارس وهذا تعريبه :

كانت الجمعية البلقانية في لندن اوفدت من قبلها المسيو (ويلغ جونغ)
قتل انكتره في فيليه بقصد اعانة المحتاجين الذين اجتاحتهم مصايب الحرب
الخانسة فبعد ان تحول المومى اليه في الجهات الشرقية من مكدونيا قدر خمسة
اسابيع نشرت تقريراً تحت عنوان (مظالم متفقى البلقان) وقد اوضح المومى اليه في تقريره
هذا الفظائع التي ارتكبتها دول البلقان في البلاد الى احتلتها فكان لهذا التقرير
تأثير شديد وبفض زائد للعصابات التي كانت الدليل للجيش المنظمة في سبيل
تلك الاعمال البربرية فبدأ المسيو ويلغ جونغ بذكر القتل العام الذي جرى
في صاري شعبان واخي شابي وتيكوش وتبرج وعورتحصار وكوملجنه وطويران
وقال في مقدمة تقريره ان جميع المتحلين بشعار الانسانية لا يمكن ان ينسوا الفجائع
المدهشه والاعمال الدنيئة التي هي سمة عارفي وجه تاريخ المدينة . فاذا صح
ما يقال من انه يوجد عدالة على وجه الارض وجب ان يجازى اشد المجازات
كل الذين كانوا السبب في وقوع هذه الوقائع المؤسفة والضربة القاضية التي
اصابت راس الانسانية .

ان اهالى القرى التي كانت عرضة لاستيلاء العساكر البلقانية اضطروا
للمهاجرة الى القصبات والمدن اذ تكهنوا بما سيلحقهم من الاذى على ايدي
العساكر المذكورة وقد امتلأت كوملجنه وتبرج وطويران بمهاجري الاسلام
ولكن حكومة البلغار عملت كل جهدها وبذلت كل تأميناتها الكاذبة حتى
انقعت هؤلاء المساكين بضرورة الرجوع لمحلاتهم القديمة فبدأوا اذ ذاك يرجعون
فريق تلو فريق اما الفريق الاول وكان عبارة عن ٤٦٠٠ نسمة نساء واولاد
فانه ذبح عن آخر فرد منه خارج كوملجنه بايدي العساكر والعصابات .
والفريق الثاني الذي اضطروا الى البيتوتة ليلاً في قرية قوستارا بين طوبان

واستروجه سلب جميع ما معه حتى الملابس التي على الابدان والذي تشبث
باهذاب الفرار قتل برؤس الحراب وهتكت اعراض النساء اللواتي كن يرافقن
هذا الفريق. وقد تبين انه قتل من هذين الفريقين سبعة الاف اكثرها نساء واولاد
لا يعرفون كيف يدافعون عن انفسهم ولقد اعدوا بلاذنب بصورة وحشية
تقشعر منها الابدان.

حصلت مناوغة في تيكوش بين الفصيلة العسكرية الصربية وبين عصابات
البغاار وقد قتل عسكري صربي هو وافراد من العصابات رجلا مسلما اسمه حسين
اشنع قتله بعد ان نهبا جميع ماله. وقد اسند البغاار هذا الفعل الى الاسلام
وبهذه الوسيلة بقوا ثلاثة ايام ينهبون قسبة (قوادار) واعدم جميع الذين
ارادوا اظهار الحفيظة ونهاية العمل هناك كان احراق الناحية جميعها.

تجمع اهالي قسبة (فاشوط) التابعة لعورتحصار في جامع وفي مستودع
للذخيرة فاحرق البغاار هذين المحلين بمن فيهما من الاهالي وكانوا يقتلون بالرصاص
الذين تشبثوا بالفرار من هول النار وملابسهم مشتعلة على ابداسهم.

وهكذا استمر الموسيوجونغ يأتي في تقريره على تصوير الفظائع التي ارتكبتها
البلقانيون وذكر في النهاية احصاء بين فيه ان الخسائر التي اوقعتها العصابات تقدر
بخمسين مليون قورون وعدد القتلى باربعة ملايين من النفوس

ان الشهور بالرحمة الذي ولده هذا التقرير فيما سرده من فظائع البلقان المستند
على وثائق لا يشك في صحتها يستحق الذكر وكما قالت جريدة التيمس اذا كانت بلغاريا
ما اشتركت في هذه المظالم وانها وقعت دون رضاها وعلمها يجب عليها اذا ان
تجازي الفاعلين حتى تثبت بذلك مدعاها ولكن مما يحزن له اننا لا نرجو ان تقام
هذه العدالة من دولة مثل بلغاريا واحزابها

(فتاة سلانيك)

ام البلاد اضاعك الاقوام فبكي مرابع مجدك الاسلام
قد ضيعت بنوك في اضغانها بل اسلمتكم الى العدى الاوهام

ان البلاد اذا تخاصم اهلها فالابعدون بها هم الحكم
واذا النفوس تغايرت هو اؤها لاغروان تنغير الاحكام
ذهبت سلانيك الغداة مضاعة فتسكنت لذهابها الاعلام
قد اظلمت ساحاتها وتنكرت عرساتها وبكت بها الآكام
ضاعت مرابع انسها من بعدما رحبت واوحش ثغرها البسام
نبأ تلعثت الرواة بنقله وتعثرت بطروسها الافلام
فقدت به الا تراك باصرة النهى حزنا وضيعت الهدى الاروام

ابيك يا شمس البلاد وبدرها واذا بكيت شاعلى ملام
تبكيك اقطار العراق ومن بها والمشعران ومصرها والشام
ام البلاد عليك من متوجع قطن العراق تحية وسلام
يا ملجأ الاحرار جاوزك البلى خانت بعد عهدوها الايام
لو كان يومك منه في اقوامنا خبر لطاشت للعدو سهام

كم زوعت في ساحتك لدى الوغى خودكم لفظ الحياة غلام
عاشا زمانا في بلهنية الصيا غرين لم يزعجهما النمام
لم يسمعا غير المدافع ضحوة فتسارعا فاذا هناك زحام
فاذا البوراج في الخضم كانتا الاعلام تيمخر والدخان قسام
والنار تبعثها المدافع السننا توحى ولكن وحيهن حمام
تنطير الارواح من اصواتها رعبا كما تنطير الاجسام
علمنا بان الاسرايس بهين بل انه امر الم جسمام
رجما وقد اخذ العدو عليهما سبل الرجوع وليس ثم مقام
فتعاقبا من بعد ان علم الفتى ان ليس يغنى عنهما الاحجام

(اسماء) ها اناميت فتأمل
قلت وقد منع البكاء كلامها
وبكت فبددت الدموع بخدها
هل تذكريني والعظام رما
ان حمل موتك فالحياة حرام
درواً لها الحسن البديع نظام

وقفت تودعه وثلمت ثغره
فغضى (نجيب) غير موجس خيفة
متلفتاً ليصيب آخر نظرة
بل فاجأته من الفضاء رصاصه
فهوى يجود بنفسه متعفرا
فانت صارخة تشق جيوبها
والموت نحوهماله ارزام
في كفه لباس الشديد حاسم
منها فلم تسمح له الاقسام
لا الخوف يدفعها ولا الاقدام
يعلوه من مر الرياح رغام
حسرى تحيش بقلبها الا لام

امجرعى الشكل الممض انام
فصدت عنى معرضاً متجهماً
ان كنت تحسبني جنيت جنابة
ام هل اتاك من الوشاة كلام
لا كان ما همست به اللوام
فالصفح عند الاكرمين يشام

ظلت تعاتبه ولا من سامع
حقى اذا علمت بان لا يرتجى
صكت براحتها منير جبينها
صرخت باعلى صوتها مرعوبة
آخذوا الفتاة اسيرة لاميرهم
وتذود دمع العين وهو سجام
لنجيبها حق القيام قيام
فاسود ذاك البدر وهو تمام
فالتف نحو صراخها الاقوام
تدعو الكرام وماهناك كرام

يا هذه كفى الدعاء فقومنا
ما القوم الاسحب صيف اعدت
لا تستغنى ليس (معصم) بنا
ماتت عواطفنا بموت رجالنا
لو تعلمين عن الدعاء نيام
ثم انجالت بالريح وهى جهام
كلا ولا فينا يعد همام
فجميعنا بمماتها ايتام

يا ايها الشرق الذى قد عمه
ما الغرب اول ظالم لك بالذى
للغرب من بعد الشروق ظلام
يأتيه بل ابتائك الظلام

قد اهلك وانت معقل عزم
فاستهونتك بوطنها الاقدام

يا واطناً ذاك الزراب ترفقا
رفقاً بوطنك انما تحت الثرى
فلقد شكنا من وطئك الاسلام
قوم وان هانوا لديك عظام

يا فاتح الملك الكبير بسيفه
غار الصليب على الهلان فاجفلت
خفر الذمام بنوه بعد عهدهم
ذهبت مساجدك التى شيدتها
لو تعلم الاجرام بالفعل الذى
لوان قومى شاهدوا اليوم الذى
لارواحى البلقان كيف ضراهم
قوى اذا اشتد الضراب تخالها
فالخرب مجلسها وساقها القنا
لم تخش بادرة الطعان لى الوغى
املى بقوى سوف تنهض نهضة
يستبعد الرجل الخير وقوعها
تبقى وان خلق الزمان جديدة
ثم وانظر الاسلام كيف يضام
تلك الحيوش كأنها انعام
من اين للقوم اللئام ذمام
بالسيف وارتفعت بها الاصنام
فهل الصليب لحرت الاجرام
كثر الصراخ به وطار الهام
بل كيف يثبت فى الوغى المقدام
نشوى وما غير الضراب مدام
والنقع نقل والمدافع جام
بل لا تهاب الموت وهو زؤام
للمجد يقصر دونها للصمصام
بل لا تنجى بمثلها الاحلام
لم ينتقض لجديدها ابراء

الجزيره : السيد خيرى الهنداوى

اخبار الحرب

من اهم الحوادث التي تنزلت كالصواعق على افئدة المسلمين سقوط مدينة ادرنه بعد ان قاومت خمسة اشهر كاملة .

ومما يعتبر مجدا وفخرا للدولة العثمانية والعالم الاسلامي ان بطل ادرنه العظيم شكرى باشا لم يسلم ولكن المدينة فتحها البلغار والصرب عنوة بعد ان استمرت الحرب دائرة الرخي ثلاثة ايام كامله هلك فيها من البلقانيين عدة آلاف وقد كان سقوطها في ١٨ ربيع الثاني ولم تسلم حاميه ادرنه للعدو كما اسلفنا بل اشتبك المتحاربون اشتباكا مروعاً في الازقة والشوارع حتى كسيت الارض بالدماء وتراكت فيها الاشلاء .

ولقد اُبت شهامة شكرى باشا وغيرته الا ان يترك ادرنه للعدو هضاباً من التراب والانتقاض فانه حينما ايقن انها لامحالة ساقطة في يدا العدو اطلق فيها المدمرات حتى جعل عليها سافلها ولم يبق فيها من المباني المقدسة او المساجد الشريفة شيئاً شاخصاً .

وكان دول اروبا كانت تتباطأ في مذاكرات الصلح ارتقاء باليوم سقوط ادرنه فانها لم تمكد تسقط في ايدي العدو حتى بادرن الى تقديم مذكرتهن المحتوية على شرائط الصلح الى الباب العالي وكان ذلك في يوم الاثنين ٢٣ ربيع الثاني وقد احتوى بلاغ الدول النقط الآتية

(١) ان تحدد حدود المملكة العثمانية في اروبا بخط مستقيم يمتد من اينوز الى مديا .

وكل الاراضي الواقعة في شرق هذا الخط تتنازل عنها الحكومة العثمانية للحكومات البلقانية المتفقة ماعدا البانيا التي مستولى الدول نفسها رسم حدودها وتعين طريقة الحكم فيها .

(٢) ان تتولى الدول الكبرى حل مسألة الجزائر المنتشرة في بحر سفيد .

(٣) ان تترك الدولة العثمانية جزيرة كريت بتاتا .

(٤) لا ترضى الدول ان توافق على طلب غرامة حربيه و يقبلن اشتراك المتحاربين في المناقشات التي سيتولاها المجمع الدولي ببائيس في سبيل الوصول الى تعيين ما يخص حكومات البلقان من الديون العثمانية وكذا في شان المسائل المالية المتعلقة بالاراضي التي ستضاف الى الحكومات المذكورة .

وفي يوم الثلاثاء من اليوم التالي قدم الباب العالي جوابه للدول قابلاً الصلح ومفوضاً الامر لتلك الدول الكبرى بلا شرط ولا قيد . ولقد كان هذا الجواب لا يتوقعه لاسيما وان منطقة الحرب قد انحصرت طبيعته في ضواحي شتالجه حيث الجيوش العثمانية على اتم استعداد واكمل قوة ولكن يظهر ان في الامر سرا غامضاً ستكشفه الايام وقد عرفنا بعض اسباب كانت منشأ التجلج بالاجابة ومصدر قبولنا وساطة الدول بلا شرط ولكن الاحوال الحاضرة لا تيسح لنا ذكر شيء منها . ولقد كان ينتظر ان دول البلقان المتفقة تقبل الصلح لاسيما وهو في مصالحها ولكن يظهر ان بعض الدول الكبرى تشير اليهن من وراء الاستار بالتعنت والاصرار على استمرار الحرب حتى يتم لهن ما يطلبن من الغرامة الحربية وحتى تلحق جزائر الارخبيل باليونان .

ويقولون ان روسيا التي هي عدوتنا التاريخية منذ القدم هي عنها المحرصة لهن وانها ترمي الى غاية واحدة وهي ان تستمر الحرب حتى تنهك قوة الدولة العثمانية وبذلك يسهل عليها الاغارة على ارمينيا وبلاد الاكراد والعلميون بما لتلك الدولة في هذه الاماكن من الدسائس يعرف يقينا ان ذلك هو سر تحريضها المستمر وسر اقدامها برغم جديتها الظاهرة على تقديم جميع ما اعوز حكومات البلقان من الاسلحة والمال والزاد والرجال .

وموقفنا اليوم بعد ان قبلنا الصلح على تلك الصورة موقف من ينتظر كيف يكون جواب دول البلقان وهل من المستطاع تنازلهن عن فكرة التمسك بالغرامة الحربية واستلحاق اليونان للجزائر

وهل دول اروبا بعد ان اعلن عدم قبولهن الزام الدولة العثمانية بالغرامة يرجعون ثانية فيعدلن عن قرارهن هذا ويمتسحن حلالاً يبيح لهن العودة الى النظر في امر الغرامة الحربية على نحو ما فعلن ايام اعلنت الحرب اذ اندرن دول البلقان ان الحرب لا تغير شيئاً من مركز البلقان السياسي ولا ترضى اروبا ان البلقان يخرج من يد لدولة العثمانية مهما كانت نتيجة الحرب فلما كان ما كان رجس ثانية فاعلن انه لا يجوز حرمان الغالب من ثمرات انتصاراته وبناء على ذلك اجمعت جموعهن واتحدت كلمتهن واصررن على البلاغ الذي قدمنه الى الحكومة العثمانية مما اتينا عليه آنفاً

وها نحن اولئك اليوم لانعلم ماذا عسى ان يكون ففريق يقول ان الصلح

سيقتد بعد بضعة ايام ثم تأتى التلغرافات باقتراب ساعة الهجوم العام على شتالجه وان الحرب العسكرية فى بلغاريا لا يرضى عن الصلح وانه مصمم على الحرب ولا يعلم الا الله عما ذا تتمخض الايام واذ قضى الامر وخرجت البانيا من ايدينا لا ترى من فائدة للعالم الاسلامى فى ذكر ما قام من الخلاف بين النمسا وبين الجبل الاسود فى شأن اسقودره وما قامت به دول اروبا من المظاهرات للنمسا وما سيكون من الخلاف بين اليونان وبين البانيا فى سبيل تعيين الحدود فان ذلك مالا يهم العثمانيين ولا المسلمين .

الاصلاح فى الولايات العثمانية

بالرغم مما عليه الدولة العثمانية فى هذه الاوقات من الارتباك والحروب تولدت فى بيروت حركة يراد منها مطالبة الدولة بالاصلاح فتألفت فى بيروت لجنة وضعت لائحة سميتها بلائحة الاصلاح البيروتية وقد كتبنا فى نقدهذه اللائحة خمس مقالات نشرتها جريدة (الحق) التى تصدر فى دار الخلافة .
ومما تجب ملاحظته ان هذه الحركة قد جاءت قبل وقتها كما ان اللائحة المقترحة ظهر نقصها وعدم صلاحيتها . على ان الحكومة برغم شواغلها الكبيرة وضعت قانون الولايات ونشرت حديثا فى الصحف وقد جاء هذا القانون وافيا للغرض الذى تشرب اليه الامم العثمانية الا انه اهل شيئا ذا بال كان على واضع القانون الا ينسوه . ذلك هو اللغة العربية ويسرنا ان الحكومة اليوم تشتغل بتدارك ما فاتتها وسرى بعون الله ما تصدره من القرار الوزارى الذى سيعطى اللغة العربية المنزلة اللائقة بها . وفق الله رجال الدولة الى الاصلاح آمين .

عند مسلم وغيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه فتقول قط قط وعزتك وهذا ايضا يرجع الى المحكم قال الله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقد مهدنا ان الصورة المنسوبة الى الله هى ظلة غمام الشريعة وان وجهه منها بارق نور التوحيد ومظهره الاخلاص وعلى هذا فالقدم منها هو نور الايمان ومظهره الصدق وهذا هو القدم الذى تستقيت النار من نوره كما جاء فى حديث ابى سمية قال سأل جابر بن عبد الله عن الورود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم وفى حديث يعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النار لتنادى جزيا مؤمن فقد اطفأ نورك ليهي اخرجهما ابو عبد الله الترمذى وذكر القرطبى حديث يعلى بن ابى بكر النجار .

تنبه . مما يحقق لك ان القدم ما ذكرناه امران احدهما ان نور الايمان يكفر جميع اسباب الكفر والمعاصى وهى اسباب النار فكما تطفى اسبابها فى الدنيا فكذلك حقيقته تطفى حقيقتها فى الآخرة الثانى نسبة الى رب العزة وهو صاحب العزة ومالكها والعزة وان كانت جميعا لله بمقتضى قوله فله العزة جميعا لكنه قد نسبها لرسوله وللمؤمنين بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فاما من مؤمن الا وهو صاحب العزة فاذا وضع قدمه حق للنار ان تضج منه وتزوى عنه وينطفى نارها بماله من نور العزة

فائدة . فى الشفا للقاضى عياض ان من اسمائه صلى الله عليه وسلم قدم الصدق وهى يقتضى انه الاصل الجامع لكل نور من انوار صفاته واسمائه تعالى

تنبه . جاء فى حديث ابى هريرة عند مسلم فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فيها فتقول قط قط فهناك تمتلئ وينزوى بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه احدا ومرجع هذا الحديث للحديث الصحيح الذى ذكرناه وقوله فهناك تمتلئ اى باهلها من المتكبرين وقوله وينزوى بعضها الى بعض فيه حكمتان احدهما انها عندما تضج بسبب نور العزة من اقدام المؤمنين ويخرجون منها تخلو مواضعهم فلو بقيت كذلك لما كانت مملوءة وهو مناف لقوله لا ملأن جهنم الاية وايضا فربما

كان ذلك تخفيف على اهلها فاقضت الحكمة انها حينئذ تنضم وتجتمع على اهلها وتمتلئ بهم تحقيقا للوعد وزيادة في العذاب. الحكمة الثانية . انها لوبقت مواضع المؤمنين خالية من النار لم يتم لهم سرورهم بالامن منها لعلمهم ان الله عز وجل وعدها انه يملأها فرما توقعوا الاعادة فكان في ازواجها وانضمامها على اهلها واملائها بهم تأمين للمؤمنين وقوله فلا يظلم الله من خلقه احدا اى لا يملؤها بنير اهلها تحقيقا لقوله ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد يوم يقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد

تبصرة . بهذا القدم تفهم السر في قوله اذ يغشاكم النعاس امانة منه الى قوله وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام وفي قول الربانيين ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا فثبتت الاقدام انما يكون بانلاج القلوب بنور التوحيد بدليل قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وذلك ان المتلج للقلوب والمظهر لها هو القرآن بدليل قوله تعالى قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمؤمنين فانظر كيف اضيف الروح للقدس وهو الطهارة وجعلها المثبة بالقرآن لاقدام الذين آمنوا وبشرى لهم اى بقدوم الصدق بدليل تصريحه به فى سورة يونس كما قدمنا

تنبيه . بهذا القدم الصدق الذى تستغيث النار منه يفهم السر فى تخصيص ابراهيم ببرد النار وسلامها لاتبائه فى قوله تعالى فإى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية وكذلك تفهم السر فى قوله أنس موسى بالنار وقوله اخلع نعليك لانه كان له القدم الصدق الايمانى بمقتضى قوله وانا اول المؤمنين

المتشابه من الآيات التى ذكرت فيها النفس

قد جاء ذكر النفس فى قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك والنفس فى اللغة تستعمل لمعان تستعذر فى الظاهر ها وقد اولها العلماء بتأويلات منها ان النفس عبرها عن الذات والهوية وهذا وان كان سائغا فى اللغة ولكن تعدى الفعل اليها بواسطة فى المفيدة للظرفية محال لان الظرفية تستدعى التركيب الذى يحبل عنه الله تبارك وتعالى وقد اولها بعضهم بالغيب اى ولا اعلم ما فى غيبك وسرك وهذا وان كان حسنا فى ذاته لقوله فى آخر الآية انك انت علام الغيوب ولكن قانون اللغة يأباه ولا بد من تخريجه على ما مهدناه حتى تنظم اشتات الصفات وذلك

ان الصورة اذا كانت ظلة غمام آياته فنفسه هى ام كتابه وهى الآيات المحكمات قال الله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب والآيات المحكمات هى الآيات الدالة على توحيد وحدانيته بدليل قوله تعالى فى اول هود كتاب احكمت آياته ثم فصلت ثم فسر احكامها بالتوحيد فى قوله الا تعبدوا الا الله وفسر تفصيلها بالاستغفار والتوبة فى قوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ونبه على ان آياته المحكمة ترجع اعدادها الى آية واحدة محكمة وهى لاله الا الله فما من علم من العلوم فى الغيب ولا فى الشهادة الا وهو منتظم فى ملك التوحيد ومستمد من بحارده ولهذا اكتفى بعلمها للنبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فاعلم انه لاله الا الله واستغفر لذنبك .

تنبيه . قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك اذا خرجته على هذا اطلع على اسرار بديعة وذلك ان السياق اشتمل على سؤال عيسى عما بلغه بنى اسرائيل هل امرهم بتوحيد ربهم اوبان يعبدوا له ولا اله ومن المعلوم انه لم يكن امرهم الا بالتوحيد فلما اراد ان يخبر بذلك تطف فى الاخبار به اجالا وتفصيلا اما تفصيلا فبقوله ما قلت لهم الا ما امرتى به الآية واما اجالا فقوله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك اى ولا اعلم ما فى ام كتابك المشتمل على سر القدر وان القلم جرى فيه بكفرهم وقوله تعلم ما فى نفسى اى ما فى ام كتابى وهو ما كتبه الله له من بينات التوحيد وايداه به من روح القدس قل تعالى وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس .

تنبيه . قوله امرتى به ولم يقل امرت به مع ان الامر بالتوحيد لم يختص به بل امر به جميع الانبياء ولكنه نبه بذلك على ان الامر امران امر حقيقة وامر شريعة فأمر الحقيقة هو المشار اليه بقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو متوجه الى جميع الكائنات فما من كفر ولا ايمان الا وهو مأثور به بهذا الاعتبار لانه لا يكون الا بامرهم واما امر الشريعة فهو الذى ربط به الثواب والعقاب وقامت به الحجة لايسئل عما يفعل وهم يسألون فن هذا تفهم السر فى قوله لعيسى امرتى به خصصه بالاضافة اليه تنبيها على امر الشريعة ولم يقل امرت تنبيها على امر الحقيقة

تنبيه . لما كان فى هذا اشتباه على المحجوبين من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون

ان كفر العبد منسوب الى اختراعه غير مستند الى ارادة ربه والا ما جازان يعاقبه عليه لاجرم بين الله جوابهم على لسان نبيه عيسى عليه السلام في قوله ان تعذبهم فانهم عبادك علل جواز تعذيبه لهم بانهم عبادك تنبيها على ان التعذيب لا يحتاج في جوازه عقلاً الى معصيه ولا كفر ولهذا لم يقل فانهم عصوك وانما مجرد كونهم عباداً يجوز للمالك ان يفعل فيهم ما يشاء له حق ومهما قال فالحسن الجليل مناجاة الهى جلت عظمتك ان يعصيك عاص او ينسلك ناس ولكن اوجبت روح او امرك في اسرار الكائنات فذكر كذا الناسي بنسيانه واطاعك العاصي بنسيانه وان من شئ الا يسبح بحمديك ان عصي داعي ايمانك فقد اطاع داعي سلطانك ولكن قامت عليه حجبتك ولله الحجة البالغة لا يسئل عما يفعل وهم يسألون

قوله ويحذركم الله نفسه اى ويحذركم ام كتابه بدليل قوله اول الآيه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء الا يه مع قوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه مع ما ثبت في صحيح مسلم وغيره من قوله صلى الله عليه وسلم فوالله انى لاله غيره ان احدمكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع واحد فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدمكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع واحد فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها الحديث فهذا تحذير من ام الكتاب الذى تكون خاتمة العبد على وفق ما سبق له فيه وبهذا يفهم السر في ذكر النفس وام الكتاب متقاربين في اول السورة ولقد افهم الحديث ان خشية سوء الخاتمة مخصوص باعمال اهل الجنة واما اهل الاخلاص لاعمال التوحيد فلا يخشى عليهم سوء الخاتمة ولهذا قال ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يبق بينه وبينها فافهم بذلك ان المتقرب مقربان متقرب الى الجنة باعمالها ومتقرب الى الله بذكره كما ثبت في الصحيح انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرنى الى قوله وان تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً وذلك يفهم ان المتقرب الى الله لا يمكن ان يبقى بينه وبينه ذراع لان ذلك الذراع ان كان التقرب به مطلوباً من العبد لم يعين بعد مقدار يتقرب الى الله به اليه وحينئذ فيستلزم الخلف في وعده وهو محال وان كان موعوداً به من الله لزم تجز وعده ويحقق القرب للعبد فلا يبقى بعد ولادخول النار فلم ان ذلك الذراع مخصوص باهل التقرب من تقرب اليه فافهمه فانه بديع

تتمة قوله في الحديث فان ذكرنى في نفسه ذكرته في نفسى اذا اردت تخريجها على

ما تقدم فمعناه ان العبد اذا ذكر الله تعالى في سره فذكره له من آيات توحيد المتشابه فلا يزال يذكر ويشهد ذكر نفسه حتى ينكشف حجابها كاسياني في حجب الوجه فهناك يحترق ذكر العبد المخلوق ويحلى ذكر الله لعبده سبحانه فيصير مذكوراً ولله ذا كراً وذلك من آيات التوحيد المحكمة وهى ام الكتاب ولهذا عبر عنهما بالنفس ونسب اليه سبحانه في قوله ذكرته في نفسى قوله وان ذكرنى في ملا ذكرته في ملا خير منه هذا من باب الترقى من حال الجمع والفناء الى حال الفرق والبقاء وذلك لان العبد اذا جمع الله عليه بذكره له في نفسه وحده افناه فاذا اراد ان يجعله هادياً بئمه لذكر الله في الملا فذلك ابقاؤه فاذا ذكره واتى عليه بالسنة ملائكتك واوليائه وارواح انبيائه ورسوله ويشهده ان الله هو الذاكر له في مظهر ذكرهم فيتمتع بذلك نعيماً دائماً ويحيى حياة طيبة ويكون له به حظ من المقام المحمود

ومن المتشابه صفة القرب في قوله تعالى واذا سالك عبادى عنى فانى قريب وقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن نفهمك ان قوله وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعاً ليس على ظاهره لان قربه سبحانه وتعالى من العبد لا يزال ولا يتفاوت درجاته وانما البعد صفة العبد وبعده من الله هو حجابها عن شهود قرب الله منه وشهود قربه على حسب نور الايمان والاستجابة ولهذا يكون تقرب العبد الى ربه واما تقرب الرب الى العبد فارشاده بنوره لنوره وقد جمع الله ذلك كله في قوله فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون

تنبيه قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون يدل على ان قربه سبحانه وتعالى من عبده قرب حقيقى مع تعاليه عن المكان لانه لو كان القرب يراد به قربه بعلمه او قدرته وصفاته لقال ولكن لا تعلمون ونحن نقول ولكن لا تبصرون يدل على القرب الحقيقى المدرك بالبصر والبصر لا يتعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يتعلق بالحقائق المرئية وكذا قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد يدل على ذلك لان افضل من تدل على الاشتراك في القرب ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد وعلى هذا فالقرب قرب حقيقى روحانى بدليل قوله فاما ان كان من المقربين اى من الذين يكشف لهم عن نعم القرب الربانى فروح وريحان وجنة نعيم فجعل قربهم وجدانهم للروح والريحان وقد قرئ بضم الراء وفتحها وقد تقدم في حقيقة الرؤية ما يكشف عن معنى الادراك للقرب بالبصر

تبصرة حكمة مجي النفضيل لقربه على جبل الوريد انه تقدم ذكر
التوسوس ووسواس النفس من القاء الشيطان ومجره الاوردة بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ومجرى الدم هو
عروق الاوردة ونحوها فيه بقوله تعالى ونحن اقرب اليه من جبل الوريد على انه
اقرب اليه من مجرى الوسواس وقد قلت في ذلك شعرا

تشاغل عنا بوسواسه وكان قدما لنا يطلب
حجب تناسي عهود الهوى واصبح في غيرنا يرغب
ونحن نراه ونملى له ويحسبنا اننا غيب
ونحن الى العبد من نفسه ووسواس شيطانه اقرب

ومن المتشابه لفظه عند وقد جاءت منسوبة الى الله في الكتاب والسنة كثيرا وهي
في اللغة تستعمل لافادة الملك ولافادة الحضور والاشتباه في استعمالها لله تعالى لافادة
الملك وانما الاشتباه في افادتها للحضور واعلم ان حضرة الله سبحانه ليست حضرة
مكانية لتعاليه عن المكان قدس بل حضرة وراء حضرات السموات والارض قال الله
تعالى ولاه من في السموات والارض ومن عنده فمطف من عنده على من في السموات
والارض والعطف يقضى بالمتساوية وهي مع كونها وراء الارض مهيمنه على
حضرات السموات والارض ومحيطه بها فما من حضرة مكانية الا وحضرة الله
محيطه بها وهو الله في السموات والارض اذا تقرر ذلك فمعديته سبحانه متعددة
بحسب الاضافة متحدة بحسب الحقيقة فاما تعددها فلانه ما من اسم من اسماء الله تعالى
الاوله في تجليه عندية تخصه يشهدها ارباب القلوب الذاكرة له وفيها مجالس المناجاة
لهم وتخلع عليهم فيها خلع الرضامنه ومن سلطان ذلك الاسم تخرج الربوبية لاهله
وتظهر الولاية بذكره واما اتحادها بحسب الحقيقة فعند الله هو موطن استقرار
عباده قل الله تعالى وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ومعنى
ذلك ان عندية الله مازالت والاتزال محيطه بعبده كما قال ونحن اقرب اليه من
جبل الوريد ولكن رب عبد دام له هذا الشهود فهو لا يزال مستقرا عند الله في
حياته ومماته ومبدها وعوده وان اختلف عليه الاحوال ومعنى توفي هذا العبد
بالموت الى الله توفيه في مراتب التجلي وحقائق الكشف وتعاقد مظاهر العندية
على روحه مظهرها بعد مظهر ورب عبد يشهد في البداء عندية الله له ثم حجب
عنه مكانه من سبب كثرة تخليطه وظلمة اكتسابه فذلك مستودع استودعه الله

لرسل انبيائه وملائكته الموكلين به فلا يزال محجوبا الى الاجل المقدر له فيرد الى الله
كما قال الشاعر

« وما المال والاهلون الا وديمة ولا بد يوماً ان ترد الودائع »
ويرجع حقيقة الرد الى كشف الحجاب ومحل احاطه الله به كما قال « ونحن اقرب
اليه من جبل الوريد الى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد هنالك يشهد انه لا مستقر الا عند الله
وقد نظمت في ذلك « شعراً

قد كنت احسب اني عن فنائكم. ناء وان بارض الله متسعا
فلم يزل لطفكم بي تحت حجبيكم. حتى رفعت حجاب العز فارفعنا
فلاح اني مقيم ما رحت على الانواب عبداً وان اللطف ما انقطعا

اشارة قوله تعالى وهو التامر فوق عبادته تنبيه على العباد المختصين من اهل العندية
والاستقرار وقوله ويرسل عليهم حفظه خطاب المحجوبين من المستودعين حفظه ولهذا
قال حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق
ثم حذر المكذب بذلك بقوله وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبي
مستقر ونبيه على ان مستقر الانبياء عنده وانه يظهر بزوال حجاب البصيرة بقوله
تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر الى قوله الى ربك يومئذ المستقر ينبؤ الانسان
يومئذ بما قدم واخر

تلييه . قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق له ظاهر وحقيقة فظاهره ان
ما عند العبد من المال والولد وزينة الدنيا يصدد الزوال والنفاذ وما عند الله من الجزاء
على تقدير انفاقه باق لا ينفد واما حقيقة فكل شئ له نسبان نسبة عارضة وهي
نسبته للعبد ونسبة اصلية وهي نسبته لله تعالى فعنى كونه عند العبد هو نسبته اليه
وهو فان زائل ومعنى كونه عند الله هو نسبته اليه وهو باق لا يزول والمراد ان
العبد يخرج الاشياء كلها عنه ويمحو نسبته اليه بنسبتها الى الله وقد بقيت له ومتى
نسبها الى نفسه وقدرته فقدت قال الله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
وظن اهلها انهم قادرون عليها اناها امرنا ليلا اونها را الآية وقال تعالى في ضده
فاذا خفت عليه فالحق في اليم ولا تخافي ولا تخزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
فارشدها عند الخوف ان تلقيه من يدها وتخرجه عن حفظها فان الله حينئذ يتولاه
بحفظه ويلقيه برحمته

تربية . قوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق فيه تلطّف بعبد في استدعائه للإقبال عليه . بالاعراض عن سواه لأن العبد مجبول على الافتقار للرزق وإيثاره بالطلب فلو جعل الرزق لا يكسب الا بالإقبال على الأسباب شغله ذلك عن الله فيكون من لطف الله بعبد أنه جعل ابتغاء الرزق بالإقبال عليه إقبالاً يشهد به العبد قرب الله منه وحاطته به فيكون العبد بذلك في حضرته وعنده ومتى بلغ العبد إلى هذا جاه الرزق من حيث لا يحسب الا ترى سرهم لما تركت الأسباب واقبلت على الله بلزوم الحراب كان زكريا كلما دخل عليها الحراب وجد عندها رزقا قال يا سرهم انى لك هذا قالت هوهن عند الله الآية

ومن التشابه لفظه ابن وهى كلمة يستفهم بها عن الحبر المكنى وقد ورد بها الكتاب في قوله تعالى وهو معكم ابن ما كنتم والسنة في قوله صلى الله عليه وسلم . للجارية ابن الله فقالت في السماء ومن المعلوم ان التحيز على الله تعالى محال واما ابن في الآية فانها اطلقت لفائدة معية الله للمخاطبين في الاين للالزام لهم لاله سبحانه فهو مع كل صاحب ابن بلا ابن واما اطلاقه في حديث الجارية فسياق الكلام عليه في فصل الجبهة والآخ في الاستواء حديث كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر معية الله لعبد في مواضع من الكتاب والسنة وهو من التشابه ورجوعه الى المحكم بان تعلم ان الله سبحانه وتعالى في الموجودات قد ضرب لنفسه مثلاً بالواحد في الاعداد ومن المعلوم ان ماعدد الا وهو في الحقيقة يرجع الى الواحد ف اثنين من شهود الواحد مرة ومرة وهكذا جميع الاعداد فلو طلبت لعدد من الاعداد حقيقة مجردة عن الواحد لم تجده بسبب ذلك كانت الاعداد لا تتناهي لان تجليات الواحد لا تنتهي ولولا معية الواحد للواحد ما ثبتت المشفعية ولولا احاطته بالشفعية ما ثبتت الوثورية وهو الاول والاخر ما يكون من نجوى ثلاثة الاله رابعهم ولا خمسة الاله سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الاله معهم ايما كانوا فمن اشهد آخرية معية له فقل شفعه فان اشهد مع ذلك اولية معية فقد اوتره ان الله وتر يحب الوتر ومن اشهد سر وحدانية في نفسه ورجوع الاعداد اليه فقد وحده ما وجد الواحد الا الواحد وبهذا تفهم السر في قولهم من عرف نفسه فقد عرف ربه .

تنبيه اعلم انه تعالى كما انه احد في ذاته فهو واحد في صفاته وذاته سبحانه منزّه عن المعية فليست مع كل شئ ولا معها شئ ولكنه مع كل شئ بصفاته وكذلك العبد الذي وحده واشهد سر الوحدانية في ذاته تجلّى ذاته المقدسه على سره فقد ظهر لك بهذا ان المعية

من احكام الصفات قرب عبد يشهده الله معية له بصفة وصفتين كقوله انى معكما اسمع وارى ورب عبد يشهده معية له مطلقاً كقوله صلى الله عليه وسلم لا نبى بكرا لا تحزن ان الله معنا ومعية الصفات عامة لجميع المخلوقات وانما اختصاص الانبياء والاولياء بالشهود والتأييد بالروح منها كما حكى عن اصحاب الشيخ ابى النجا انه كان يقول قال لى وقلت له و يكتر من ذلك فقيل له من الذى يقول لك وتقول له قال الله قالوا الله يقول لك قال نعم وبأخذ بيدي كلما قمت وقعدت قالوا لك هذا خاصة قال لا بل للناس عامة ولكنى اشهد وهم لا يشهدون .

تبصرة رب عبد يخص بشهود المعية ولا يتعدى ذلك منه الى اتباعه كقول موسى عليه السلام لبنى اسرائيل ان معى ربى سيهدين ورب عبد يتعدى منه نوره الى اتباعه فيشهدون به سر المعية كقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ولم يقل معى لانه امد ابابكر بنوده فشهد سر المعية ومن هنا يفهم سر انزال السكينة على ابى بكر .

تربية اذا اردت شهود نور المعية فعليك بتزكية النفس قال الله تعالى قد افلح من زكاه وفي حديث رواه ابو عبد الله الترمذى بسنده الى عبد الله بن معاوية العامرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من فعلهن طعم طعم الايمان من عبد الله وحده بانه لاله الا هو واعطاه زكاة ماله طيبة بها نفسه ولا يعطى الهرمة ولا المريضة ولكن من اواسط اموالكم وزكى نفسه فقال رجل وما تزكية نفسه قال ان يعلم الله معه حيث ما كان فانظر كيف نبه على ان تزكية النفس ثمر العلم بمعية الله فان قلت بما ذا تكون تزكية النفس قلت بلزوم الذكر قال الله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وفي الحديث انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكر نى فعلى حسب الذكر يكون تطهير النفس وتزكيها .

الايات التى ذكر فيها لفظ فوق

ومن التشابه صفة الفوقية وقد جاء بها الكتاب والسنة كقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقوله وهو القاهر فوق عباده وايات واحديث كثيرة وهو محدود من التشابه وذلك ان فوق كلمة موضوعة لفائدة جهة العلو والله تعالى منزّه عن الجهات وانما المراد منها حيث اطلقت على الله سبحانه اداة العلو الربى وبما يدل على عدم اختصاصه بجهة فوق قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض وقوله

وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وقوله والله المشرق والمغرب فايما تولوا قم وجه الله وقوله ونحن اقرب اليه من جبل الوريد وقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم وآيات كثيرة يطول ذكرها ولو كان فى معنى غير جهة العلو لتعارضت هذه الآيات واختلفت وهو مناف لقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فنفى تقييده بجهة فوق وهو لا ينطق عن الهوى ان هو الاوحى الايوى والذى يجمع بين الآيات والاحاديث يعلم ان العلو له اعتباران اعتبار اضافى واعتبار حقيقى فعلو المخلوقات بعضها فوق بعض انما هو علو اضافى لان مامن مخلوق له جهة علو الا وهو مستعمل بالنسبة الى مخلوق آخر وهذا العلو الاضافى قيمان قسم حسى وهى الجهات المكانية المخصوص بالجواهر المقتضى للحيز وقسم معنوى وهو المفهوم بالنسبة الى درجات الكمال العرفانى لارباب القلوب او الكمال الوهمى لارباب التقوى قال الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وقال انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا هذا كله فى العلو الاضافى . واما العلو الحقيقى فانما هو لله سبحانه وتعالى وسع كرمه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم وهذا العلو محقق قبل الجهات والاما كن مفهوم بدون اعتبار النسب والاضافات عام فى جميع تجلياته على مخلوقاته باسمائه وصفاته وانما يعرفونه يشهد ارباب البصائر والقلوب

نبيه اذا اردت ان تتحقق ان فوقه ليست فوقية مكانية وانما هى الفوقية الحقيقية بقهر الربوبية للعبودية ففكر فى حديث كان الله ولا شئ معه . ولم تجدد بخلقه للسموات علو ولا خلقه للارض نزول ولا خلقه للعرش استواء وانما عن تجلى اسمائه وصفائه نشأت اعداد مخلوقاته غير ماسة له ولا منتسبة اليه بفوق ولا تحت ولا شئ من الجهات قال الله تعالى سبح اسم ربك الاعلا الذى خلق فسوى فوصفه بالاعلى حال اتصافه بالخلق فدل على ان علوه محقق قبل الخلق ولذا قال وما قدروا الله حق قدره الاية وصف نفسه آخره الاية بالعلو والتزيه فى قوله سبحانه وتعالى بعد ذكره قبضة الارض وطيه للسماء فدل على ان علوه حقيقى لامكانى وتأمل قوله وهو القاهر فوق عبادة مع قول فرعون عن بنى اسرائيل سنقتل ابنائهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون فهل فهم احد منهم ان فرعون ادعى انه فوق بنى اسرائيل بالمكان اوبالجهة وانه لما

ادعى الربوبية بقوله انا ربكم الاعلى كان من لازم دعواه ادعاء الفوقية اللائقة بالربوبية وهى الفوقية الحقيقية بالقهر فلذلك قال انا فوقهم قاهرون لاجرم كذبه الله فى الامرين فكذبه فى قوله انا ربكم الاعلى بقوله لموسى لا تخف انك انت الاعلى وكذبه فى قهره بقوله فاتبعهم فرعون بجنوده ففشيهم من اليم ماغشيهم واضل فرعون قومه وما هدى

تنبه قوله تعالى رفيع الدرجات يرجع الى العلو والفوقية الحقيقية وليس المراد ان العلو الحقيقى له درجات وتفاوت وانما المراد ان للعباد فى ترقبهم الى معرفته وخلوص التحقيق به درجات الاولى درجة الايمان الثانية درجة التقوى الثالثة درجة الانبعاث الرابعة درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اتوا العلم درجات وقال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة وقال تعالى وجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا وقال تعالى وفوق كل ذى علم علم

تنبه قوله تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع الآية قد فسرت بالمساجد وفسرت بالقبوب وكيف ما كان فرفعها تحقها واشتالها على ما ذكرناه فى الدرجات المذكورة وتامم الاية بحقه

تنبه لما ادعى فرعون الربوبية واعتقد الجهة لله قال ياهان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى فرد الله عليه وسحق سوء رأيه وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل اى عدل عن سبيل القرب والدنو من اله موسى فانه تنزه عن علو المكان وانما يصعد اليه بالكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه اين هو من قول موسى وعجلت اليك رب لترضى مع انه لم يبين له صرح ولا احتاج الى الدنو والقرب الى صعود السماء وكذلك ابراهيم حيث جاء به بقلب سليم ووهب له لسان صدق عليا فكان مجيئة اليه ووصوله وعلوه بسلامة القلب وصدق اللسان لا بالتسوير والصعود الى المكان وقد ثبت ايواء الله للمؤمنين فى قوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وفى صحيح البخارى عن ابى راند اللبى ان ثلاثة جاءوا النبى صلى الله عليه وسلم يحدث القوم فوجد احدهم فرجة فجلس فى الحلقة والثانى جلس خلفهم والثالث ادبر ذاهبا فقال عليه السلام اما احدهم قاوى الى الله قا واد الله والاخر استحيى فاستحيى الله منه والاخر اعرض عن الله

فأعرض الله عنه فنبه صلى الله عليه وسلم على ان الداخل آوى الى الله فأوام الله مع العلم بانه ليس الايواء في الآية والحديث باعتبار مكان . وفي صحيح مسلم وغيره عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في القبلة فقال ما بال احدكم يقوم فيستقبل ربه فينتزع امامه يحب ان يستقبل فينتزع في وجهه فدل على انه ليس مخصوصا بجهة فارق والا ما كان قبلة امامه وبالجهة فالاحاديث الدالة على عموم احاطة ربنا بجميع الجهات وعدم اختصاصه بكثرة والقصد قد حصل بما ذكرناه

فصل قصة الاسرى وان كانت مشتملة على الترقى بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السموات فليست منافية لما ذكرناه ولا مستلزمة لاثبات الجهة ويدل عليه امور منها اقتراح السورة بسبحان مقتضى التنزيه تنبيها على تعاليه عن التحيز بالجهات وعلى عدم اختصاصه بجهة

الثاني قوله اسرى بعبدته فأتى بباء الاصاق المفيدة للمصاحبة في تعدي الفعل تنبيها على مصاحبته له في حال اسرائه وانه ليس نائيا ولا بعيدا عنه فيحتاج في قربه الى قطع مسافة مكانية وتحقيقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم انت صاحب السفر الثالث قوله بعبدته تنبيها على انه على حسب التحقيق بخضوع العبودية يكون الترقى الى حضرة الربوبية

الرابع قوله ليلا وان لفظ الاسراء مفيد لذلك تنبيها على ان كل ما تضمنه الاسراء كانه خارجا عن العادة في مثله فانه جعل العلة فيه ان يريه من آياته والارادة العادية سلطانه النهار فقال ليلا ليعلم ان الرؤية المقصودة ليست عادية بل هي رؤية بنور رباني سلطانه الليل دون النهار

الخامس قوله من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى نبه به على ان الاسراء لو كان بضرورة رؤية ربه بكونه مخصوصا بجهة العلوم تكن حاجة بالذهاب الى المسجد الأقصى ولا يكون الترقى من مكة الى السماء فدل على ان الاسراء والترقى من مكان لمكان لحكمة وراء مازعمه مثبت الجهة والسرفه وفي كونه ذكره الله تعالى في كتابه التنبيه على ان العبد لا يصل الى الله الا فردا تحقيقا لقوله وكلهم آتية يوم القيامة فردا ولا يتحقق له الفردية الا بعد مفارقة الحوادث وتجرده منها فهناك يصل الى حضرة عنديته وقد جاء الكتاب العزيز بالتنبيه على ان حضرة عنديته وراء السموات والارض قال تعالى وله من في السموات والارض ومن عنده فغطف من عنده على من في السموات والارض والعطف يقتضى المغايرة فدل على ان حضرة العندية

وراء السموات والارض وهي مع ذلك محيطة بحضرات السموات والارض كاحاطة ربنا بذلك كله مباينة لها كعبانته فمن اراد فعله بمعرفة الحوادث ومباينته لها . ثم اعلم ان المعرفة نوعان قلبية غيبية وحسية فان فارقتها بقلبه وصل الى الله بقلبه وان فارقتها بحسه تبعها لقلبه وصل الى الله بحسه وقلبه فذلك كان الاسراء مرتين مرة بالجسد تنبيها على انه صلى الله عليه وسلم شرع لامته فراق الحوادث مرتين مرة بالروح وهو الاسراء الاول ومرة بالجسد حسا وهو الاسراء الثاني ومن المعلوم انه لا يتحقق لفرقه الحوادث حسا الا بمجاوزة دوائر الافلاك كما ثبت ليلة الاسراء واما ترتيب تعليمه وترقيه في توجهه ففيه اسرار بديعة اظهرها واجلاها ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء والصلاة حضرة القرب والمناجاة والمراقبة المثمرة لتعظيم الرؤية ومن المعلوم ان التوجه توجهان روحاني وحسي فقبلة التوجه الروحاني وجه الله ولا اختصاص له بمكان واما التوجه الحسي فله قبلتان بيت المقدس والعكبة في بيت المقدس هو قبلة الانبياء والكعبة هي قبلة ابراهيم فجاء الاسراء الروحاني اولا تأسيسا للسرعة في قوله تعالى ولله المشرق والمغرب فايمنا تولوا فثم وجه الله وجاء الاسراء الحسي منه لتوجه ال بيت المقدس ثم الى السماء ثم بالرجوع الى العكبة تأسيسا للسرعة في التوجه الحسي في الصلاة اولا لبيت القدس ثم الى السماء في قوله قد نرى قلب وجهك في السماء ثم بالرجوع الى قبله مكة في قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام اشارة لما كان توجه ليلة الاسراء الى مكة بعد خروجه من حضرة القرب في التلقى الى حضرة القرب في التبليغ جاء التسريع في التوجه الى الكعبة على وفق المناسبة فقال فيه ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ومن هذا يفهم السرفى قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك الى قوله وقيل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وهذا المخرج للدعوى والتبليغ هو المخرج الذي ورثه عنه امته في قوله كنتم خیرامة اخرجت للناس الآية

تنبیه قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اياك ان تفهم ان ذلك مشعر بتجديد في القرب او تخصيص في جهة وانما هو دنو تجل وكشف لانه ذكره في قصة الاسراء بالروح الاترى قوله تعالى بعده ما كذب الفؤاد ما رأى ثم ذكر بعده الاسراء الحسي ولقد رآه نزلة أخرى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فاذا علم انه دنو تجل روحاني وكشف عرفاني فهمت سر قوله وهو بالافق الاعلى من قوله سترهم آياتنا في الآفاق فكان افقه في الرؤية وبيان الحق هو الافق الاعلى

ثم دنى عن الافق الاعلى في نعيم الرؤية وفي بيان الحق فكان قاب قوسين اى قدر قوسين والقوس فى اللغة يستعمل للذراع وما يقدر ويقاس به وهو المراد هنا وهو فى قوله فى الصحيح انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكرنى الحديث وفيه فان تقرب الى شبرا تقرب منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقرب منه باعا وليس المراد فيه ذراع حصى محدود وانما المراد تمثيل القريب لدنو الذاكر من المذكور فى مجالس النجوى والذكر والتجلى سر المعية للقلب واوفى الرتب فى ذلك تحقق القلب لسر سبحان الله والحمد لله وكذلك كان صلى الله عليه وسلم ليلية الاسراء واذا اردت التحقق لذلك فيخذه من افتتاح سورة الاسراء بسبحان الله واختتامها بقوله وقل الحمد لله ثم نبه على انتفاء التقدير فى دنوه بقوله او ادنى وهو التحقق بالتوحيد فى نعيم الرؤية للآية الكبرى وهى لاله الا الله ولذلك وصفه بقوله فى آخر السورة وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له الى قوله وكبره تكبرا تحقيقا لقوله وما بينهما وبين النظر الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن كما قدمنا .

ايضاح اذا اردت ان تفهم سر التدلى فى قوله فتدلى فتأمل مارواه ابو عيسى الترمذى من حديث النان وفيه ذكر الارضين السبع وان بين كل ارض كباين السماء والارض ثم قال عليه السلام والذى نفسى بيده لودلى احدكم بحبل لوقع على الله فنبه صلى الله عليه وسلم على عدم تحيزه فى السماء وانه ليس مختصا بمجهة ثانية على ذلك قوله تعالى ثم دنا فتدلى فان الاسراء كان للعلو فى المنزلة وربما توهم المحبسون ان الدنو فى قوله دنا زيادة للعلو فنبه بقوله فتدلى على ان قربه قاب قوسين كان ثمة التدلى المشعرة بالتنزيل وانه تعالى لا يختص قربه بمجهة العلو بل التدلى اليه بالخضوع اقرب تحقيقا لقوله واسجد واقترب وفى الصحيح اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد

تبصرة قوله لودلى احدكم بحبل لوقع على الله مؤول باحاطته سبحانه بكل شئ وقد اولها المتصوفة بتأويلين احدهما ان المراد بالحبل جبل الوريد وهو الحديث النفسى والنور العقلى فلو دلى المتفكر جبلا بشعاع عقله الى منتهى الخلوقات السفلية لوقع فى كل حضرة من حضرات مدركاته على الله لانه اقرب اليه من كل شئ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من جبل الوريد . الثانى ان المراد بالحبل جبل الله المتين وكتابه المبين فمن تمسك به شهد سر تنزله على

اراضى القلوب ووقوع جبل اشعته على الله فيها لان القلب بيت الرب فلا اقيم بمواقع النجوم وانه لقسم لوتعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون الى قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون

تبصرة اذا اردت زيادة التبصر بان الاسراء وعروج الملائكة ورفع عيسى لايدل على ان الله مخصوص بمجهة السماء فاعتبر فرض الحج على العباد الى البيت الحرام وامر الله للناس بالتوجه من جميع الجهات وجعل سكانه حيران الله وحجابه ووفده وضيافته مع ان نسبة البيت وغيره الى الله سبحانه باعتبار المسافة نسبة واحدة فعلم ان القصد بالسير الى البيت ليس مقصودا لان السير يقتضى القرب والوصول اليه بالمكان وانما لله تعبدات واسرار فى ضمن مشروعات يقضيها من من عبادته لحكمة ظاهرة وخفية الانراه كيف ناجى موسى بالواد المقدس واسمعه كلامه من الشجرة ووصفه بالقرب الى مجلس حضرته ونجواه مع الانفاق على انه تعالى لا يختص بالواد المقدس ولا يحل كلامه وهو صفته بالشجرة وان موسى قرب اليه مع كونه بالارض وسمع نداءه من جانب الطور ولم يكن ربه بجانب الطور وانما لتجلياته مظاهر وحجب روحه وجسمه لا يشهدا الامن فثق الله رتق قلبه وفلق اصباح ليله ونور مصباح مشكاته بزيت شجرة توحده ومن لم يجعل الله له نورا فانه من نور

تشكيك قد يرد على ذلك نحو قوله امانتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض وقوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يهرج اليه وامثال ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية ابن الله فقالت فى السماء قال اعتقها فانها مؤمنة والجواب اننا قد قرنا ان تجلياته تعالى باسمائه وصفاته محيطه بدوائر السموات والارض وان لها فى تصرفها وسائل سفلية منسوبة للعباد ووسائل علوية منسوبة له فاطلق على نفسه انه فى السماء باعتبار الوسائل ومظاهر تجلياته العلوية وانه فى الارض باعتبار المظاهر والوسائل السفلية وهو الله فى السماء اله وفى الارض اله وقال لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاذا كان المقصود بالسياق تحذير اهل الارض وتفخيم الارجاء بالتعبير من السماء فان مظاهر السماوية هى القائمة بالتصرفات الغيبية المنسوبة اليه كما قررناه واما تنزل التدبير وعروجه فهو عروج روحانى وسر روحانى وكشف عرفانى وسيناقى له مزيد بيان بعد ذكر مسألة الاستواء . واما تقرير الجارية على ان الله فى السماء ووصفها بانها مؤمنة فالحق ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعتمد فى ايمانها

وتقررها ظاهر لفظها فان لفظها ليس مفيد التوحيد الله لا على مذهب القائلين بالجهة ولا على غيرهم اما عند من لا يثبت الجهة فواضح واما عند مثبت الجهة فلا منهم يو افقون على انه قد عبدت الملائكة والشمس والكواكب وهى فى السماء وليس فى لفظها ما يخرج هؤلاء عن الالهية ولا ما يقتضى وصفها بالايمان واقترب احتمال فى ذلك ان الجارية اشرك بصيرتها نور التوحيد فى آفاق السموات تحقيقا لقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق الآية فلما قال لها ابن الله فقالت فى السماء اى ظهور نور نوحيدة فى السماء قال اعتقها فانها مؤمنة وتحقيق ذلك كونه لم يقل فانها مسلمة فدل على ان اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم فى تقريرها كان على امرشده منها يرجع الى قلبها لا الى لفظها مع احتمال لفظها له فلذلك اقرها عليه .

الاستواء

ومن الآيات المتشابهات آيات الاستواء والاحاديث الواردة فيه ومرجعها عند المحققين الى الآيات المحكمات واول ما يذنب تقديمه معنى الاستواء لغة واصله افتعال من السواء والسواء فى اللغة العدل والوسط وله وجوه فى الاستعمال ترجع الى ذلك منها استوى بمعنى اقبل ثقله الهروى عن الفراء قال العرب يقولون استوى الى يخاصمى اى اقبل على الثانى بمعنى قصد قاله الهروى الثالث بمعنى استوى .

الراجع بمعنى اعتدل الخامس بمعنى استقام السادس بمعنى علا قال الشاعر .

ولما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

قاله الحسن بن سهل اذا علم اصل الوضع وتصايف الاستعمال فنزل على ذلك الاستواء المنسوب الى ربنا سبحانه وتعالى وقد فسر الهروى بالقصد وفسره ابن عرفة بالاقبال كانهقل عن الفراء وفسره بعضهم بالاستيلاء وانكره ابن الاعرابى وقال العرب لا يقولون استوى الا لمن له مضاد وفيما قاله نظر لان الاستيلاء من الولى وهو القرب او من الولاية وكلاهما لا يقتضى اطلاقه لمضاد ونقل الحسن بن سهل عن ابن عباس انه فسر قوله ثم استوى الى السماء فقال علا امره وهذه التفاسير كلها محتملة وهى على وفق اللغة واما استوى بمعنى استقر ومنه قوله تعالى واستوت على الجودى وقوله لتستويا على ظهوره الآية فلا يلىق نسبة مثله الى استواء ربنا تعالى على العرش مع اننا نقول قد علمت اصل اشتقاق الاستواء ولا مدخل فيه لمعنى الاستقرار وانما الحق ان معنى استوى على الدابة جاء على الاصل ويكون معناه اعتدل وعلا عليها والاستقرار من لازم ذلك بحسب خصوصية المحل

وحينئذ فلا يصح نسبة مثله الى تعالى لاستحالته فى حقه وعدم وضع اللفظه وقد ثبت عن الامام مالك انه سئل عن الاستواء قال كيف غير معقول والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فقله كيف غير معقول اى كيف من صفات الحوادث وكل ما كان من صفات الحوادث فائتبه فى صفاته تعالى ينافى ما يقتضيه العقل فيجزم بنفيه عن الله تعالى وقوله والاستواء غير مجهول اى انه معلوم المعنى عند اهل اللغة والايمان به واجب على الوجه اللائق به تعالى لانه من الايمان به وبكتبه والسؤال عنه بدعة اى حادث لان الصحابة كانوا عالمين بمعناه اللائق بحسب اللغة فلم يحتاجوا للسؤال عنه فلما جاء من لم يحفظ اوضاع لغتهم ولاله نور كنورهم يهديه لنور صفات ربه شرع يسأل عن ذلك فكان رؤاه سببا لاشتباهه على الذس وزينهم عن المراد ووجب على العلماء حينئذ الايهلوا البيان قال الله تعالى واذا خذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولا بد فى ايضاح البيان من زيادة فنقول قد قررنا استوى افتعل من السواء واصله العدل وحقيقته الاستواء المنسوب الى ربنا تعالى فى كتابه بمعنى اعتدل اى اقام العدل واصله من قوله تعالى شهد الله ان لاله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط والعدل هو استواؤه ويرجع معناه الى انه اعطى بعزته كل شى خلقه موزونا بحكمته للتعرف الى خلقه بوحدانيته ولذلك قرنه بقوله لا اله الا هو العزيز الحكيم والاستواء المذكور فى كتابه استواء ان استواء سماوى واستواء عرشى فالاول يعسدى بالى قال تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وقوله ثم استوى الى السماء وهى دخان ومعناه والله اعلم اعتدل اى قام بقسطه وتسويته الى السماء فسواهن سبع سموات ونبه على ان استواءه هذا هو قيامه بميزان الحكمة وتسويته بقوله اولا عن الارض وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين وبقوله آخر ذلك تقدير العزيز العليم واما الاستواء العرشى فهو انه تعالى قام بالقسط معترفا بوحدانيته فى عالمين عالم الخلق وعالم الامر وهو عالم التدبير الاله الخلق والامر فكان استواؤه للتدبير بعد انتهاء عالم الخلق لقوله الله الذى خلق السموات وارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعداذنه وبهذا تم سر تعسدية الاستواء العرشى بعلى لان التدبير للامر لا بد فيه من استعمال واستيلاء .

اعتبار . اعتبر بعد فهم هذا قوله تعالى في خطابه لنبيه يا ايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك واعتبر بما اثمرته هذه الآية من التسوية والتعديل بقوله عنه ليله الاسراء ذومرة قاستوى وهو بالافتح الاعلى مع قوله صلى الله عليه وسلم بلغت الى مستوى اسمع فيه جريف الاقلام ومن المعلوم ان القلم انما يجرى بالقدر كما ثبت في حديث عبادة ابن الصامت ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال وما اكتب قال اكتب القدر ثم ما كان وما هو كائن الى الابد وبهذا الاعتبار تعلم ان الاستواء عبارة عما قررناه لك من قيامه بالقسط وتقدير المقادير في عالم خلقه وعالم امره .

النزول الى سماء الدنيا

ومن الاحاديث المتشابهة احاديث نزوله سبحانه كل ليلة الى سماء الدنيا وهو لا ينفك ما ذكرناه ولا يستلزم اثبات الجهة ولا اتصافه تعالى بالحركة والنقلة فان ذلك محال كما ثبت في كتب الكلام ومقصدنا الآن ان نخرج صفة النزول على ما يوافق القواعد التي مهدناها في صفاته سبحانه وقد اول بعضهم نزوله بنزول علمه وقدرته ونحوه وهو غير متجه فان علمه وقدرته وصفاته ان اريد بنزولها نفسها فهو محال لان الصفة قائمة بالموصوف فاذا لم يجز لموصوفها النزول فصفتها اولى واخرى وان اريد بنزولها تعلقها بما في سماء الدنيا فتعلق علمه وقدرته بالموجودات كلها لم يزل ولا يزال فكيف يخص بجزء من الليل او غيره . هذا مع القطع بانه سبحانه وتعالى يمسك السموات والارض ان تزولا فن قبضته لا تزال محيطه بالسموات كلها والارضين كلها كيف يحتاج الى النزول اليها او يختص تعلق قدرته وعلمه بها بزمان دون غيره وانما الجارى على القواعد والآيات المحكمة قدنبه الله في كتابه بمثلين مثل منك ومثل خارج عنك الاول قوله تعالى الله نور السموات والارض الآية ومن المعلوم ان النور اذا جعل محيطا بدوائر شفافة بعضها يحيط ببعض فاول ما يظهر اثره في ادناها اليه واوسعها دائرة فيراه اهلها ثم ينفذ شعاعه الى الثانية ويظهر فيه على حسب صفاء ثم هكذا الى ثالثة ورابعة . . . وكل في كان من دائرة منها يرى النور قد نزل الى دائرته وهو نزول ظهور وتجل لا نزول حركة ونقله فعلى مثل هذا خرج صفة نزوله سبحانه مع تنزيهه عن تفاوت نسب دوائر الافلاك اليه وعن بعده عن بعض وقربه من بعض

بل هو اقرب الى كل شئ من نفسه ولا بذلك حينئذ من مراجعته ما تقدم في الاستواء على العرش فتعلم ان صفة النزول من لوازم صفة الاستواء وقد تقدم ان صفة الاستواء هو قيامه في عالم الامر بسر التدبير فنزوله حينئذ هو نزول روح الامر بسر التدبير من حضرة الاستواء وهو العرش الى سائر دوائر الكائنات لحكمة التعرف قال الله تعالى تم استوى على العرش . يدبر الامر وقال الله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ينزل الامر بينهن ثم بين ان ذلك التنزل لحكمة التعرف بقوله لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما .

تنبيه انما نسب النزول اليه سبحانه لان روح الامر هو مظهر نور التوحيد قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذوا انه لا اله الا انا فاتقون وقد بينا ان نور توحيده هو وجهه سبحانه فلهذا جعل نزول روح امره بمثابة نزوله ومعرفتها بمثابة معرفته لان من عرف نفسه عرف ربه

تبصرة اذا علمت معنى نزوله في العالم الاكبر فاعتبر بذلك استواءه ونزوله في العالم الانساني وهو العالم الاصغر كما سيأتى بيانه المثل الثاني قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك الى قوله حسير فلا تعتقد ان المراد ان ترجع بصرك في طباق السموات فان الله يعلم انك لا يدرك بصرك ذلك لضعفه وشدة البعد وتأمل قوله تعالى ماترى في خلق الرحمن من تفاوت اى ان الرحمن خلقك وخلق السموات قال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الآية فكما خلق السموات خلق فيك امثلة لها لا تتفاوت بين تلك الامثلة وبينها فارجع بصرك في تلك الامثلة تعلم انه سبحانه ضرب قلبك لنفسه مثلاً وذلك ان قلبك هو صاحب دوائر اطوارك وله في استوائه عالمان علم خلق وهو علم حرك وعالم حق وهو علم غيبك فاذا اراد تدبير عالم الحس تنزل بروح امره وهو نور البصر ومن المعلوم عند علماء التفسير ان للروح الباصر سبع طباق يتنزل منها الى ان يصل الى عالم الحس وانت اذا اعتبرت ذلك حكمت بسببه ان نزوله سبحانه منزله عن النقلة والحركة الا ترى ان القلب يدرك بالبصر ويدرك به البصر الشئ البعيد حساس في آن واحد من غير ثقل ولا خطور في طباقه ينفذ من بعضها لبعض بلا تراخ ولا مهلة في نزله ورجوعه اليه ولا تفاوت في نسبته اليها وقد قال المحققون من اهل النظر ان العين مرآة القلب اى من نظر الى عين رجل رأى

منها حقيقة قلبه ولتحقق الباصر بالقلب اشبه على كثير من العقلاء فاعتقدوا ان البصر ليس حساً مغايراً للقلب وكذا باقي الحواس بل هي بمثابة الشبائيك والقلب هو المدرك منها لما في عالم الحس وهذا كله يكشف لك سر نسبة النزول الى ربنا سبحانه بنزول روح امره وكونه من اكبر آيات توحيده

تذكرة في الحديث مامن مسلم يسلم على الاراد الله على روي لارد عليه سلامه وقد نهت على الاشكال المتعلق بهذا وعلى جوابه في كتاب الامالى والقصد بذكرة هاهنا مناسبة لما نحن فيه فان للعبد مع الله حالين حالا يجمع روحه عليه تحقيقاً لتوحيده وتكميلاً لشهوده وحالاً يرد روحه اليه هداية لخلق وتوفية لخلق وهذا الجمع والرد من الاسرار الالهية نبه به النبي صلى الله عليه وسلم على ان حالته في مماته كحالته في حياته لا يزال بروحه عند الله واداسلم عليه مسلم اوجاهه زائر رداً الى روحه كما كان يردها في حياته وفيما ذكرناه من الروح الباصر كشف حقيقة ذلك فانه مامن نفس الا ويجمع فيه الروح الباصر الى القلب مؤدياً اليه ما يراه في عالم الحس ثم يرد الى العين من غير شعور بثقل ولا كيفية ولا زمان فلو حلف حالف ان روحه الباصر ما زایل قلبه لم يحنث ولو حلف حالف انه ما زایل عينه لم يحنث كذلك ولا يلزم من رد روحه اليه لرد سلام المسلم عليه ان لا تكون باقية عند ربها ولا يلزم من بقاءها عنده الاتكون مردودة الى نبيه والله اعلم

تبصرة اذا سمعت بنزول ربنا كل ليلة الحديث فلا تفهم منه النزول الى عالم الحس واعتبر بذلك نزوله سبحانه بروح ذكره الى السماء قلبك الاتراه كيف نهك على هذا بقوله فائقوا الله يا اولي الابواب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكراً رسولاً الآية ثم قال بعده الله الذي خلق سبع سموات الآية فبدأ بآية نزول ذكره قبل آية نزول امره تنبيهاً على الاهتمام بالاولى وقال في الاول ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور وقال في الثاني لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وذلك يقتضي ان نزوله بروح الذكر بثمر النور والهداية وان الله يتولى اخراج العبد من الظلمة ولا يكله الى نفسه وان نزوله بروح الامر يثمر الدلالة والتكليف بالعلم تنبيه اختصاص نزوله بالثلث الاخير من الليل له تأويلان الاول لان الليل محل

النوم وتوفي الانفس ورقبها الى الله وقد ذكر ارباب العلم الطبيعي ان النوم المعتبر في صلاح البدن ثمان ساعات وهي ثلثا الليل فاقضت حكمة الربوبية تخصيص النزول

بالثلث الاخير رحمة للعباد وتلطفاً بهم حتى يكونوا قد يتقظوا وتأهبوا لقبول ما ينزل على قلوبهم من بركات نزوله سبحانه. التأويل الثاني ذهب اليه علماء الباطن فقالوا ان الحجاب هو ليل القلوب وهو ناشئ من نوم القلب وفي الحديث يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم اذا نام ثلاث عقد فاذا قام فذكر الله انحلت عقدتان فاذا صلى انحلت ثلاث عقد فالانسان اذا نام قلبه عقد الشيطان فاذا استيقظ فذهب فذكر الله انحلت عقدة فذهب ثلث ليله فاذا توضأ انحلت عقدتان فذهب ثلثا ليله ووضوءه استغفاره قال الله تعالى في قصة نوح فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً فاذا صلى فصلاته في ثلث ليل الحجاب الاخر وهي العقدة الثالثة وهناك يكون نزول روح الذكر عليه فتحل عقده كلها ويكشف له عن حقيقة ان الصلاة صلة بين العبد وبين ربه وعلامة ليل الوصلة كشف الحجاب والتلذذ بروح الخطاب

صفة المجيء

ومن المتشابهة صفة مجيئه سبحانه وتعالى واتيانه في نحو قوله تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك . وجاء ربك والملائكة صفاً وهو ايضاً يرجع الى معنى المحكم ولا ينافيه لان من المحكم قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفاً فاذا رددت اليه قوله وجاء ربك والملائكة صفاً صفاً علمت انه يتجلى بوحدانيته في الروح وان المجيء للروح ونسب اليه كما نسب نزول الروح اليه لتجليه فيه ويحققه ان الروح من عالم الامر وقد قال تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك وقد تقدم ذكر آياته في ظلل من الغمام فلا حاجة لاعادته

تحقيق اذا علم ان الروح في قوله يوم يقوم الروح هو روح القدس المحمدي الجامع لحقائق الصفات في عالم الامر استواء وزولا ومجيئاً واتياناً وهو صاحب التجلي بنور التوحيد في مظاهر السموات والارض وفي ظلل انعام الشرائع وصور الاعمال كما تقدم وهو صاحب تنبيه الرحم الایمانية والنسب المحمدي بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كل نسب منقطع يوم القيامة الانسبى وبدليل قول الله له يوم القيامة من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته

تنبيه هذه هي الرحم التي اشتق لها اسم من اسمه الرحمن صاحب الاسماء الحسنى في قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعو فله الاسماء الحسنى واليها مرجعه

واشتقاقه منها على حسب صلته للرحم الايمانية الحمدية وعلامة صلته لها صدق مودته لآخوانه المؤمنين وقوة الفقه بهم والجماعة عليهم وعلامة قطعه لها مفارقتهم اليه الاشارة بقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا مع قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ فانظر بسبب التفرق كيف قطع نسبة الحمدي بقوله لست منهم في شئ ونبه على انهم قد قطعوا عن الله بقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ فتحقق بذلك قوله من قطعك بقتة

اشارة وصلة الروح للروح الحمديه والرحم الايمانية وسجودها على حسب ما نظرت في اصل منشأها واستمدادها من نور التوحيد فن قام بحق التوحيد فهو احق بها وهو صاحب نسب والزهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها

صفة الحب

ومن الصفات المتشابهة صفة الحب وقد نسب في الكتاب الى الله تعالى بقوله يحبه ويحبه وبقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وكذلك في السنة في احاديث وقد اختلف علماء الظاهر والباطن في تأويله والمعول عليه عندهم انه يرجع الى التعبير بالشئ عن ثمراته فحب العبد لله محبة ادامته لذكره واقامته لطاعته وحب الله للعبد اقباله بوجه احسانه ورحمته اليه وافاضة سوايغ نعمه وجوده عليه وهذا فيه تعطيل لحقيقة الوصف والذي حملهم على ذلك ان الحب في الشاهد عبارة عن ميل القلب وهو مستحيل على الله لتعاليه عن الحوادث والتحقيق ان الحب يرجع حقيقته مطلقا الى سر روحاني يجمع الله به المتفرق ويوجد المتعدد وذلك ان الله نور السموات والارض فاما من شئ من الكائنات الاوفيه سر من الواحد قائم به كاتقدم تحقيق ذلك . ومن المعلوم ان الخلوكلت مختلفة من حيث الاسماء والصور ومراد الله منها ائتلافها في الرجوع الى واحد واليه يرجع الامر كله وانما تأتلف الصور والاسماء المختلفة من حيث ذلك السر القائم بها من تجلي الواحد وليست كلها متساوية بل هي متفاوتة على حسب قابليتها لتجليه وقد جعل الله الحب سرا يكشف حجاب الاختلاف بالصورة والاسم عما قام بهما من السر المتيق فيأتلف السر مع السر بواسطة المعارف وفي الحديث الارواح جنود مجنونة فما تعارفت منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فان حصل الكشف من الجانبين حصل التحاب من الجانبين يحبه ويحبه وان حصل من احد الجانبين اختص بالحب ولهذا تجد بعض الناس يحب من لا يظهر عليه انه يحبه لان الحب كشف له عن

سر التوحيد المناسب له القائم بمحبوه قاله ولم يكشف لمحبوه عن السر القائم بمحبه وجلة الامر ان لا محبوب في الوجود الا الله ولقد احسن بعضهم في التنبيه على ذلك اجالا فقال في محبوه

شئ به يسى القلوب سوى الذى يدعى الجمال وليس اعلم ما هو
وقال بعضهم

البلبل يصاح يشدو بفنن والارق تنوح ياترى العشق لمن
والكون جميعه غرام وشجا شابا شك يا من الكل فتن

فقد ظهر لك ان الحب سر يكشف حجاب الحوادث عن اسرار التوحيد فيجتمع متفرقا ويتحد متعددًا ومن توهم انه الميل والارادة او بعض الآثار الحادثة التي يجدها الحب فليس على حقيقة من امره وانما التباس عليه الاعراض المتعلقة عن الحب بالحب واعلم انه لا يطلق على العبد انه يحب الله الا اذا كشف له سر التوحيد مجردا من الحوادث فاحبه واما اذا احب السر متوهمًا انه احب مظهره من الحوادث فلا وبهذا حصل الالتباس في حقيقة الحب في اطلاقه على غير الله وفي صحة اطلاقه على الله

تنبه قولنا لا يصدق حب الله الا بالكشف عن سر التوحيد مجردا عن الحوادث مجمل له تفصيل وهو ان كشف تجريده تارة يكون عيانا وتارة يكون ايمانا فالعيان كما لاراهيم صلى الله عليه وسلم حيث توجه اليه في الكواكب ثم في القمر ثم في الشمس ثم توجه اليه مجردا فقال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الآية ونبه على تجريد حبه عن الحوادث بقوله لا احب الاقلين والايمان بحال من اخبره . الصادق ان السر في هذا المظهر فتشأله بنور التصديق الايمان حيث كشف له عن ذلك السر كشف ايمانيا ومنه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبه على ان سر التوحيد المأذون في محبته له مظهر وهو ظلة غمام شريفة واتباعه فيها يستلزم اتصافهم بها وهو بمثابة تعرض الحب للمواطن التي يظهر له فيها محبوه ومن شأن التعرض لمواطن الحبيب ان يران وجه محبوه عند تجليه فيها فلهذا امر العبد بالمراقبة في قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك تبصرة . ومن هذا قوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبایعونك انما يبایعون الله ونحوه . والآيات يتضمن الاخبار للعباد ان سر التوحيد الجامع مظهره محمد صلى الله عليه وسلم فمن احبه فقد احب الله فمن الاتباع من كشف له تجرد

ذلك السريعنا كحال ابن بكر في قوله بعد موته من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات
ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ومن الاتباع من حجب عن تجرده حتى أخبر به
في قوله ولولاهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك الى قوله لوجدوا الله تواباً رحيماً

تحقيق قوله لا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته الحديث فيه
اسرار منها التنبيه على ان الحب سر تجميع المتفرق وتوحيده المتعدد كما ذكرناه من كلام
الحقّين الحبيب انت الا انك غيره ومنها التنبيه على ان العبد تارة يكون محباً متقرباً وتارة
يكون محبوباً وترجع حقيقة التقسيم الى شهود العبد وحظه من تجلي قوله يدبر الامر
من السماء الى الارض ثم يرجع اليه فان شهد مأمته الى الله فتشهد رجوع الامر
بسر التوحيد منه الى الله فهو محب وعلامته دوام ذكره وتوجهه بالقرب والنوافل
وغلبة الشوق وان شهد مأمته الى الله فقد شهد بدء الامر من الله ونزله بروح التوحيد
اليه فهو محبوب وعلامته السكون ودوام المراقبة ومنها التنبيه على ان المحبوب قسمان
قسم يقف بمحبوبه وقسم يبقى به فنه على حال الاول بقوله كنت سمعته ونبه على
حال الثاني بقوله الذي يسمع به ونبه بهما على انه لا بقاء الا بعد فناء ومنه قوله تعالى
وما رميت اذ رميت فنه على الفناء بقوله وما رميت وعلى البقاء بقوله اذ رميت وعلى
تحقيق الحب بالحبيب بقوله ولكن الله رمى

دقيقة ومن ذلك قوله تعالى سبحانه الذي اسرى بعبده ليلاً الى قوله انه هو
السميع البصير الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم والسميع البصير هو الحبيب

الرضا والغضب

ومن المتشابهة صفة الضحك والرضى والغضب وقدور الرضا في السنة في احاديث
وقد اختلفت اهل الحقائق في معنى الرضا في الشاهد وهل هو حال او مقام وايما كان فهو
من مقولة كيف الحادث وهو مستحيل على الله والضحك في الشاهد معروف وامتناعه
على الله بالنسبة لذاته ضروري فلذلك كان من المتشابهة رجوعه الى الحكم بما قدمناه
في الصورة فيكون ظهور الضحك في الصورة التي تجلي فيها ربنا على عبده ولا اشتباه
في ذلك فان اصل الضحك عند الحكماء نشأ من اقبال القلب الى وجهة الصدر فينقل
لاقباله البدن بالكيفية التي تسمى ضحكاً المناسب للضحك المعتاد باقبال القلب ونسبة
الضحك اليه كنسبة الصورة والوجه اليه بالمعنى الذي قدمناه ويتضاعف بذلك نعيم
الرؤية للمؤمن وافاضة جوائز الكرم عليه وقد ثبت انه يلقى المؤمن اذا مات بروح

وريحان ورب غير غضبان فانظر كيف جعل مظهر لقائه له الروح وفي الروح يظهر
لذلك العبد رضا وضحك وعدم غضبه وحقق بقوله ورب غير غضبان ان الروح
مظهر الربوبية وان العبد بلقائه الروح يلاقى ربه ولولا ذلك لاشكل على قواعد العربية
لانه عطف الرب على الروح وشرك بينهما في تعدى الفعل اليه بالباء على وجه تعديه
للمعقول وذلك ينافي كون الرب فاعلاً للقاء واذا انت خرجته على المعنى الذي ذكرناه لم يبق
فيه اشكال والله اعلم

